صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ـ ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

تشرين الثاني ١٩٦٢
العدد السادس
السنة الخامسة

كتاب : الى السيد وزير الثقافة والارشاد

لشد ما يثلج صدورنا يا سيادة الوزير أن تبرز في عهدكم الزاهر الى حيز الوجود فكرة انشاء مركز ثقافي للجمهورية العربية السورية في البرازيل . فلطالما تاقت نفوسنا لان نرى الوزارة تعمد ـ كما تعمدون اليوم ـ لرصد المخصصات اللازمة لهذه الفكرة المباركة بعد أن طال أمد انقطاع الكثير من اخواننا في المهجر عن كل حركة فكرية قامت في هذا البلد الخير . فأمام هذا العمل القومي لا يسعنا الا أن نشكر لكم وللمسؤولين في الوزارة هذه الخطوة المباركة .

يا سيادة الوزير ؟ ان ثمة فكرة واحدة تركتنا نقف من هذا المشروع الجليل موقف الحذر ذلك أن أحد من يدعون صداقتكم يشيع اليوم في قريته امام الكثيرين ممن نحن على استعداد لتعداد اسمائهم ـ ان أردتم ـ يشيع أمام هؤلاء انكم ـ انتم ـ من رشحه لان يكون رئيسا لهذا المركز الثقافي الحساس . وتمادى بالامر أن عين مقدار راتبه لهذه الوظيفة .

يا سيادة الوزير ! لا نود أن نتعرض لهذا الانسان وأمثاله ممن اعتادوا استغلال صداقتهم لمنافعهم . أجل لا نود أن نتعرض لمثل هؤلاء لولا يقيننا بحساسية هـذا المركز . ونكتفي اليوم ان نشير الى الصدى الذي تركه هذا النبأ لدى اوساط المثقفين وغير المثقفين وهم الذين يعملون ـ على كثرتهم ـ أن مثل هذا المركز له اكفاؤه من غير الادعيـاء .

يا سيادة الوزير ! في الساعة التي نتطلع الى هذا المشروع الكريم شاكرين لكم حرصكم على صلتنا باخواننا المهجريين ، في هذه الساعة ننتظر منكم اختيار الكفء لهذا المنصب من غير المستغلين والمنتفعين .

مدحة عكاش



عندما أقلتني الطيارة في مسيرها من دمشق الى « فيينا » صيف العام الماضي في رحلة أنفقت عليه من مالي الذي ادخرته ، وكنت أرى الى لدات لي ورفاق ، والى أنداد بلغوا الامصار الاوربية واميريكية ولم ينفقوا من مالهم في سبيل رحلاتهم الا ما اشتروا به هداياهم • فقلت ان عيني لم تريا الديار الغربية ، وان كانتا رأتاها في الكتب والسينما والتليفزيون والصور الكثيرة • وان حياة الوهم والخيال على متعتها تشوق الجسد لعله يحيط بها ، اللمس والحس والذوق وتسريح النظر ، وقديما قال شيخنا الجاحظ هذه العبارة الشافية :

ـ ليس يشفيني الا المعاينة •

كانت الطائرة تجد بنا تحليقا فوق بحر « ايجه » فرأيت جزر الاغريق التي أطلعت عباقرة الدهر القديم في الفكر والحكمة ، وترامى ناظري فوق أثينا على (الاكروبول) فقلت : يا لله لقد طغت أعمدة الهيكل على وجه الجبل ، وكان أهلوه القدامى قد عبروا به آماد السماء ، ولا يزال حتى اليوم الفكر الانساني مدينا لهم بالتألق والتصور والتعميق •

ولم نجاوز هاتيك الجبال الشم ذوات الاوفياء الملتفة حواليها حتى جزنا الى سماء البر الاوربي فانبثقت تحت نواظرنا واتسقت سجادات الهية لم تنسج مثلها طهران ولا مرت عليها الايدي اللدن من بنات شيراز وأصفهان ، بدت حدودها وقدودها ، وكأنها اسطورة رسمت بريشة مغن سحار ، أطاعت بنانه الاصباغ ، ولم تكن الا صبغة الله خضراء بيضاء وفي مصفرة محمرة من جداول الزرع ، في حقول النبات ، طافية بالازاهير •

ولقد حار طرفي في اجتلاء محاسنها ، فكنت أطل من نافذة الطيارة لأتسقط موضعا ليس فيه نبت أو لون أو طريق أو بناء ، فلم أجد أرضا بورا ، ولا سهلا مهجورا • ولو كان لي عينان من « زرقاء اليمامة » أو نظرة من نظرات « حزام » لتبينت الانسان في الرجل والمرأة ، يدب على هاتيك الارضين يغمرها بالنسل ، ويملؤها بالعمل ، ويعيش بفكره وشعوره ، وقد مرت على أرضه حربان عوانان منذ استهلالة القرن العشرين حتى اليوم ، فدفن أحزانه في الفؤاد ، وعاش ملء وجوده باسما للحياة •

وهتفت مضيفة الطائرة ، بعد أن عطرت الجو بأنسها وابتسامها ، وسحرت القلب بجمالها وقدها ، وقد قربت البعاد ، واختصرت بسحرها الآماد :

ـ أشرفنا على فيينا !••

فيا لعروس الغناء ، سابية الرواء ، وحاضرة المجد الاوربي ، ما أجمل الصباح فيها ، وما أحلى المساء !•••

لقد هببت في البكور فانحدرت من الفندق وقرينتي « وداد سكاكيني » لنصابح الحديقة الكبرى التي كانت مكثبة من الفندق ، وقد جزنا اليها في يسر منعطفات الطريق •

ما أبدع ما شاهدت في حديقة لوبرز الفردوس لكان لها في دنيا الفنانين خدينا •

واذا نساء حوافل بالزرع والانبات ، شابات فواتن وكهلات حكيمات ، مطرقات ، يلملمن أوراق الشجر النثيرة على الارض ويضعنها في أكياس معهن أو سلال يدفعنها بعجل دائر • وأنابيب للسقاية تلقاءها تدور لوالبها بفعل الآلة ، لا تعمل فيها يد انسان ، فهي تسقي الزرع في دائرة مرسومة لها ، وعلى عدوة منها آلة

مثلما تدور كدورتها تنشر الماء رذاذا وتنعش النبات في أشتات تلاوينه متفتحا لشعاع الصباح مثلما تفتحنا ونحن ندلف اليه ٠

وبين يدي الحديقة وفي بهرتها بركات تطفو بالماء ينسكب عليها من نوافير طافرات ، جلست أتأملها وأشبه بها عزيمة الانسان ، وهو يقفز ، ومهما يعل فلا بد له أن يعود الى أمه الارض ٠ وقد نزلت في خاطري فكرات شعريات من تلك النوافير الطوافر ، ظلت تختمر في خيالي وحدسي حتى جلست مثل هذه الجلسة أمام نافورة « جينيف » فصنعت يومئذ قصيدة أرسلت بها الى صديقي أديب الشرق الاستاذ (ألبير أديب) ببيروت (١)

لكن الذي اختلب شعوري في حديقة « فيينا » ما شاهدت وقرينتي من جدار لا يحد مداه النظر ، قام على جانب الحديقة متخذا من غصون الشجر وتلافيف اللبلاب المزدهر المرماح بيد النسيم ، حلته التي كلما بليت جددها الربيع ٠ وعلى بساط الحديقة دوائر من الازاهير والريحان ومربعات ومسدسات أبدعتها يد الانسان ، وكان أمامنا طائفة من الزنبق تتمايل على سوقها تمايل الاحباب بالحنو والتوله ٠ ومن يدري فربما نظرت اليها بعين عمر الخيام أو خيال المعري فشاهدت محشرا للمعاميد من بني الانسان طلع في مطالع الزهر وهو يبث الشعر ٠

وفيما نحن مستغرقان في هذا التأمل يهتف في الحس وتسمعه أذن النفس ، اذا بنا نرى بين أقدامنا حيوانا صغيرا يتلعب وكأنه عرفنا فألفنا ٠ أو جاء مسلما علينا ٠

ما أشد دهشتي مما عاينت ، وقد كاد لبي يذهب لبعد الغرابة فيما أرى ٠

سنجاب نزل من الشجرة التي كانت خلفنا ، وجاء يجول متمهلا بين أقدامنا ، يلعب ويبحث عن حب يأكله ، وقد انعطف ذنبه المعكوف فوق ظهره منفوش الشعر وأذناه مرهفتان وأنفه متجه بالشميم نحونا ، وبرقت عيناه الصغيرتان بالمودة ، وكانت حلته سمراء داكنة ٠

لقد غالبتني الدهشة اذ لم يمكني في حياتي سنجاب أن أراه مليا ، فلقد رأيت سناجيب تقفز أمامي قفزات الجن ، وكأنها السهام المنطلقة ، فما تمكنت يوما أن أشاهدها حية مكثبة مني ، ولو في أعالي الشجر ، أو أبعاد الارض ، لكن سنجاب فيينا الاليف الحبيب جاءني ملاعبا مداعبا ، فتركته يمرح أمامي ، داخلا تحت المقعد وخارجا ، لألقاه بعيني وسمعي وحسي كله ٠

وحين لم يجد معنا ما يطعمه ـ اذ لم تتخذ أهبة لتلك المفاجأة ـ انصرف عنا ٠ ولست أجهل ما كانت خواطره في ضيوفه الشرقيين ٠

وحل مكانه ما هو أدهش ٠ عصافير دويرية صغيرة كالعصافير التي في بلادنا ، تجيء لتقف على قدمي وهي تسقسق حولي ٠ والعصافير التي نعرفها منذ خلقنا ملأى بالفزع ، لا يكاد ظل انسان يقرب منها حتى تطير مرتاعة ، وما عرفت أحدا استطاع أن يمسك بعصفور امساك اليد ٠ ولعل تلك العصافير النمساوية جاءتنا مسترفدة ، كذلك السنجاب ، فلم تجد لدينا رفدا ٠

وظللت أعجب في مسير زوراتي للامصار الاوربية بألفة الحمام للناس ، يقف على رؤوسهم وعلى أكتافهم ، ويستريح على أيديهم فيطعم من بذور يشتريه الناس له وقد شاهدت في « لندن » بميدان « الطرف الاغر » ألوفا من هذه الطيور الاليفة ، ورأيت شعبها الهادىء الودود في صحون كنيسة القديس بطرس بروما ، وأدهش ما عاينت من أسراب الحمام ما ملأ بلاط الفناء الاكبر أمام كنيسة « سان مارك بفينيسيا » ٠ هنالك كنت أذري البذور للطيور فتتجمع حولي حتى سدت علي مسالك القدمين ٠ لقد كانت أليفة هادلة تدور يمنة ويسرة

(١) « نافورة جنيف » نشرت في مجلة « الاديب » صيف العام الماضي ٠



لم أحسد انسانا حسدي لحارس الليل .. فقد كان سهره في الليل يراعي الكرى ، ويسامر النجوم يروقني لا سيما ان الدنيا حرب ، والسهر ممنوع الى ساعة متأخرة من الليل ، والاضواء المخنوقة تفزز الاعصاب .. وكنت أغبط حارس الليل الذي يسلخ الساعات الطويلة مراقبا السماء والنجوم والقمر ، والظلام ، وكل شيء حيث تتفتق المشاعر ، وتتبلور الاحاسيس في رؤى موفقة فيها عذوبة وطلاقة وشاعرية .

وكان عزمي جارس حارتنا صديقا لي .. وأحببته لدماثة خلقه ، ولين جانبه ، ورقة حاشيته ، وكده في سبيل أسرته ، وابتسامته التي لا تفارق شفتيه .. ولكنه في ذلك الصباح المشئوم دخل الى مكتبي متجهم الهيئة ، جاف الاسارير ، تنعقد عبوسة مخيفة على جبهته ، وتهالك على أقرب مقعد ، واعتمد رأسه بين يديه ، وتنهد ، وأرسل زفرات حارقة ، ثم انخرط في بكاء شديد . وغلغلت نظراتي فيه .. لقد كانت عيناه غائرتين ، ولونه شاحبا .. وبدا لي أن مصيبة عارمة فدحته حتى انجذب الى هذا الاسى الرهيب .. وعهدي به ذلك الانسان المرح الذي يفيض نشاطا وحيوية ، فالابتسامة لا تفارقه ، مهما كانت المصائب المنهالة عليه .. وكثيرا ما كنت ألقاه في آخر الليل ، وأنا عائد الى بيتي من احدى السهرات ، فأجده يقظا يطوف أرجاء الحارة ، متفقدا كل بيت ، مصغيا الى كل همس ، لا تفوته نأمة ولا حركة .. لا يهمه البرد القارس ، ولا يأبه

أمامي ، وتهفو الي رافعة مناقيرها الحمر لتتلقف حبي ، وكانت ألوان ريشها سماوية ، وقل فيها البياض .

وكان معنا شاب شرقي أحب أن يمزح مع واحد من هذه الطيور ، فأمسك به ، وعصر جناحيه ، ولوى عنقه ، فتملص الحيوان الصغير المسكين من قبضة يديه ، وطار ، وعيني ترافق طيرانه ، وعلا في مطاره حتى حط على الحصان النحاسي الذي ورثته فينيسيا من عاديات روما ووضعته على جبين كنيستها الكبرى بحذاء السقف الشاهق ، وهنالك لبثت أشاهد الحمامة الهاربة من الانسان العادي وقد نفضت جناحيها واستعادت أمنها وقد تخيلتها تتنفس نفسات الحرية التي كادت أن تسلب منها ، ولم تهبط مرة ثانية طول وقفتنا في صحن « سان ماركوس بفينيسيا » . والتفت لأرى ذلك الفتى الذي أزعج الحمام عن مجاثمه ، فرأيته يسعى ليمسك بالطيور ويعصرها بين يديه .

لقد عرفت ما دار في خاطر سنجاب فينا وعصافيره بوهمي ، وألقي في أعماق سمعي ما كانت تقوله تلك الحمامة وهي على الحصان النحاسي فوق جبين المعبد الشاهق .

وعدت من رحلتي وأنا ذاكر لابي عثمان الجاحظ ، فقد كان يهوى مشاهدة الحيوان ، وتشوقه الطيور ، وكانت له مساجلات مع الحمام . انه درس نفسه وعرف أسرار مرحه وانسابت في مسارب سمعه نغمات هديله . لقد كنت أنقل الجاحظ معي في تلك المشاهد ، فقد عرف في شؤون العصافير ، وكتب عن الطيور بما يحير الالباب ، على مسيرة الاحقاب .

بالزوابع المزمجرة .. همه أن يأكل خبزه بشرف ، ويقوم بمهمته خير قيام .. وكان شهما الى أبعد حد .. سريعا الى تأدية كل خدمة تطلب اليه ، لا يشكو ولا يتأفف من قسوة عمله ، بل كان يحبه ، ويجد فيه لذة عظيمة .

وصافحته ، وربت على كتفيه ، وقلت : خيرا ان شاء الله يا عزمي .

ونهنه دمعه ، وصوب الي نظرات ذابلة ، وتهدج صوته : أنا أتعس انسان في العالم .

- ما هذا الكلام يا عزمي ؟

- صدقني ..

- أين مرحك وابتسامتك ؟

- ليتني مت .

- الى هذا الحد .

- وأكثر ..

- ماذا حدث ؟ أخبرني .
- حياتي أصبحت لا معنى لها بعد الان .
- ما هذا التشاؤم ، وأنا أعرفك تهزأ بالمصائب .
- لقد انتهى كل شيء بالنسبة لي .
- ما الحكاية ؟

- لن أستطيع بعد اليوم أن أقدم الطعام لزوجتي وأطفالي الستة .

- ماذا حدث يا عزمي ؟
- سرحت .

وامتدت يده الى جيبه ، وأخرج منها القرار ، وقرأت في حيثياته ان سبب تسريحه يعود الى سوء سلوكه ، وألقيت القرار على المنضدة ، وبهت ، وعراني كثير من الالم ، فقد كنت أعرف جيدا ان سلوكه مثالي لا شائبة فيه ، ولقد تعاقب على حارتنا عدد كبير من الحراس ، فلم نعهد واحدا في دماثته وأدبه ، وسهره على وظيفته ، وتفانيه في خدمة الناس ، مع عفة نفس ، وعزوف عن كل منكر .

وقلت : لا بد أن يكون أحدهم وشى بك .

- لا . لم يشي بي أحد .

- هل كان في سلوكك مؤخرا بعض ما يريب ؟

- أنت تقول هذا .

وتعالى نشيجه ..

وقلت : لا أقصد شيئا ..

ومن خلال جهشاته غمغم قائلا : اذا كنت تشك في ، فليس من أحد يؤمن ببرائتي بعد الان .. مظلوم .. والله العظيم .

- أنا أعرفك مثال الاخلاق الطيبة .

- والله منذ أن كنت في العاشرة من عمري لا أعرف أنني قطعت فريضة صلاة أو صيام .. أنا مؤمن بالله ، وأخاف منه .. فهل يعقل أن يكون سلوكي سيئا كما يزعمون ..

وأطرقت حائرا . ماذا بامكاني أن أفعل له ؟

ورفع الي عينين التمع فيهما العذاب . وقال : أرجوك أن تكلم رئيسي لاعادتي .

- انني مستعد اذا كان هذا يجدي .

- بالتأكيد يجدي .

- ألا يمكن أن أعرف السبب في هذا التسريح ؟ فليس من المعقول أن يقدموا عليه دون أن يعتمدوا على شيء ما .

وغامت عيناه برؤى بعيدة .. ثم تنحنح ، وشد قامته ، وقال بلهجة حزينة : **معك حق .**

وعصر جبهته بيده ، ورأرأ عينيه ، وقال : لقد حدث هذا في الشهر الماضي .. الله يلعن تلك الساعة .. الشيطان كان لي بها بالمرصاد ، واستطاع أن يغريني ..

وفرك يديه ، ثم مسح دمعه بكمه وقال : أمضيت

تلك الليلة في الحراسة حتى لاح الفجر ، ثم ذهبت الى المسجد ، فتوضأت وصليت الصبح ، واستغرقتني قراءة القرآن الكريم حتى أشرقت الشمس ، فصليت ركعتين لله تعالى ، وخرجت من المسجد ، والتقيت بصديق لي ، فتجاذبنا أطراف الحديث ، وجلسنا في قهوة حيث حسونا الشاي ، وودعته ، ووجهتي البيت لأنام بعد عناء الليل •• وعرجت على الفرن ، فاشتريت خبزا لاولادي ، وبعض الحلاوة الطحينية ، لقد كان الاطفال ينتظرون طعام الافطار •• وتصور فرحتي عندما يتجمعون حولي ، ويقفزون على أكتافي ممراحين ، ينهبون مني الخبز والحلاوة •• كانت هذه المنى تهدهدني ، وانا في طريقي الى البيت •• والفقراء مثلنا عندما يقدمون اليسير لاولادهم يستشعرون لذة لا تعادلها لذة الاغنياء في ترفهم العظيم •• ولسوء حظي كان مركز الاعاشة الذي يوزع الطحين على الفقراء بالمجان على طريق بيتي •• وعندما اقتربت منه وجدت مئات الفقراء رجالا ونساء يتجمعون حوله ، وهم في جلبة شديدة • وسألت عن سبب هذه الضجة ، فقال لي أحدهم : لا يوجد طحين •

واجتمعوا علي ، وهم في لوعة خرساء •• والفقير الذي عرف الجوع يدرك مدى الآلام التي تسببها عضته •• وتصورت خيبة هؤلاء المساكين عندما يعودون الى البيت ، وأطفالهم يتراكضون حولهم يطلبون الخبز ، ولا يجدونه •• وأعترف لك أن الدنيا أظلمت في عيني لا سيما أن الطحين نادر في هذه الايام •• التي تحتدم فيها الحرب بين الحلفاء والالمان •• وكل شيء غال •• واخترقت الصفوف تدفعني قوة غريبة لا أعرف كيف تسربت الي •• حتى دخلت الى مركز الاعاشة ، وقلت للموظف المختص : لماذا لا تعطون هؤلاء المساكين حقهم ؟•

ـ وما دخلك أنت ؟

ـ أنا واحد منهم •

ـ افهم •• ان الطحين غير موجود اليوم ••

ـ الطحين موجود •• وانتم تتصرفون فيه لمصلحتكم •

ـ أتتهمنا بالسرقة ؟

ـ الحق أنكم تسرقون خبز الفقير

ـ اخرس يا كلب •

وتناهبتني العيون الحمراء بنظراتها الشذراء •• وقبلت التحدي ، وصرخت : حرام عليكم يا ناس •• انهم فقراء •• وعندهم أطفال •• لا تحرموهم حقهم •

واشتد الصخب ، ولجت المناقشة ، وزعقوا بي ، وطردوني •• فخرجت وفي صدري غيظ شديد • وتجمع الفقراء حولي يسألونني : هل فعلت شيئا ؟

ـ لا •

وتألمت لمنظرهم البائس ، فقد صدموا بأعز أمانيهم ، وارتفعت همهماتهم •• وبكت بعض النسوة ، وهتفت احداهن : والله ليس في بيتي كسرة خبز ، ولم استطع أن أتحمل أكثر من هذا ، وصرخت : الحقوني •

وتقدمتهم ، وتدفقت جموعهم ورائي •• كنت أعلم أن موظفي الاعاشة يتآمرون على خبز الفقير ، ويسرقون طحينه ، ويبيعونه لبعض التجار •• لقد رأيت هذه العملية بأم عيني مرارا عديدة •• وتناقلتها الالسنة •• ولكن موظفي الاعاشة سدروا في غيهم •• ولم يأبهوا الا لكنز المال الحرام في جيوبهم • ودخلت متجرا كبيرا ، واحتج صاحبه ، بيد أنه خاف من الجموع •

وقال : ماذا تريد ؟•

ـ أكياس الطحين التي باعها لك رجال الاعاشة•

ـ لم يبيعوني شيئا

ـ أحسن لك أن تعطينا اياها بالحسنى •

وتطلع الى الجمع الهائج ، وخشي مغبة الامر •• فتلكأ قليلا ثم اشار الى الاكياس •• وعددتها فاذا هي سبعة •• عليها ختم الاعاشة •• وفي هذه اللحظة وصل

رجال الشرطة الذين أبلغوا بمظاهرتنا ففرقوها بالقوة •• وانطلق كل واحد في سبيله •• وأخذوني الى المخفر ، واستجوبني وحدثتهم بكل شيء •• وقلت لهم : ان رجال الاعاشة يبيعون بعض اكياس الطحين •• وعددت لهم مراكز البيع في المدينة •• وأخبرتهم بأنهم يزورون أسماء وهمية ، لتمويه سرقاتهم ••

وصرخ بي رئيسهم : ألا تعرف أننا في حرب ؟•

ـ نعم أعرف •

ـ وتعرف أن المظاهرات ممنوعة ؟

ـ نعم •

ـ أنت ابن حكومة مفروض فيك أن تفهم النظام ، وترعاه •• ومع هذا تقدم على هذه الجريمة ••

ـ يا سيدي •• انني أدافع عن حق الفقير •

وتفجرت قهقهة مدوية وصرخ : ومن نصبك محاميا عن الفقراء ؟

ـ يا سيدي لم أقم بأية مظاهرة ••

ـ والناس الذين كانوا وراءك يهتفون : يعيش عزمي •• أنت مسرور لانك أصبحت زعيما •

ـ يا سيدي •• أنا رجل مسكين ••

ـ مسكين •• وتقود مظاهرة ضد الدولة •

ـ يا سيدي ••

وقاطعني بغلظة : اخرس •

وخرست ، ثم شذرني بعنف ، وصرخ : حرام ان تلبس هذه البدلة •

ـ يا سيدي أرجوك ان تفهمني ••

ـ أفهمك يا كلب •• وأنت تقود مظاهرة ••

ـ يا سيدي هؤلاء ليسوا بالمتظاهرين ••

ـ ماذا يكونو اذن ؟

ـ يا سيدي جائعون •

ـ ومن كلفك باطعامهم ؟

ـ يا سيدي •• ان من يسعى لنيل حقه لا يعد متمردا ••

ـ اخرس يا وقح •

وأبقوني في السجن يومين ، بعد أن عذبوني بالاسئلة التي انهالت علي كالمطر •• وحاولت أن أشرح لهم موقفي الانساني البسيط ، ولكنهم لم يفهموا •• وأخيرا أطلقوا سراحي ، وأعلنت توبتي أمامهم ، وعدت الى الليل •• أجد فيه عزائي وحبي •• ولكنني في هذا الصباح استدعيت الى قيادة الشرطة ، وسلموني قرار التسريح •

ودفعه الي مرة ثانية •• وألقيت عليه نظرة خاطفة• وتنهد ، وتمتم : أين سلوكي السيء في هذا العمل ؟ هل أجرمت لانني أرشدتهم الى السارقين ؟ أرجوك •• أتوسل اليك أن تتدخل لاعادتي الى عملي الذي ألفته وألفني •• عندي ستة أطفال •• وأقسم لك بالله العظيم أنني لاأملك قوت يومي •• ليرحموا اطفالي اذا كانوا لا يريدون رحمتي •• لقد تبت الى الله توبة صادقة •• ولن أتدخل في حياتي بأمر لا علاقة لي به ••

وقلت : سأحاول ••

ـ أرجوك أن تهتم بهذه القضية •• انها مسألة حياة أو موت بالنسبة لي ، ولاطفالي •

ـ سأفعل ••

ـ لا أعرف كيف أشكرك ••

وانسحب من مكتبي ذليلا مهيض الجناح ، كسير النفس •• كأنه يحمل على منكبيه هموم العالم ••

وأعترف انني سعيت لاعادته الى وظيفته •• ولكن ـ لسوء الحظ ـ مسعاي خاب •

محمد حاج حسين

لنا وطن وليس لنا حدود

شعر الدكتور عزة الطباع

القى الاديب الكبير والشاعر والضليع الدكتور عزة الطباع هذه القصيدة القومية الرائعة في المهرجان الخطابي وحفلة السمر المقامين من قبل وزارة الثقافة والارشاد القومي تكريما للبطلتين الجزائريتين جميلة وزهراء في سينما الحمراء مساء امس :

بقايا السيف من ساح الطراد … حملن لارضنا ، عبق الجهاد

ربضن على النضال سنين سبعا … يرضن عوادي السبع الشداد

فلم يتعبن ، بل تعبت قيود … خجلن : على المعاصم والايادي

نسين مع الكفاح ، رؤى الغواني … وكيف ؟ وقد حرمن من الرقاد

لئن بطرت من التنعيم عيشا … بنات السين في بؤر الفساد

فقد أقسمن لا يطعمن غمضا … وفوق ثرى الجزائر بور عادي

يصبحن الجزائر والنشامى … كؤوس الحب من مزق الفؤاد

فتزدحم الفجاج بقاحميها … وقد سكروا على الخيل الجياد

يميد بهم مع النخوات سهل … ويدفعهم الى الفلوات وادي

نشاوى النخوة العرباء حنوا … لما فعلت سيوف بني زياد

لكم حشدت فرنسا من حشود … وحلف الاطلسي من العتاد

فما مل الطراد الوعر قومي … ومل الغاصبون من الطراد

* * *

جميلة ، يا رواية كل ركب … وزهرة ، يا قصيدة كل حادي

اذا افتخر الحرائر من معد … بمجد ، والعقائل من أياد

وعددن المآثر تالدات … وتهن على الحواضر والبوادي

فأن بكن تفتخر المعالي … وتفخر كل من نطقت بضاد

نسجتن الكفاح برود مجد … فهن روائح فيها غوادي

* * *

ذكرت الهائمين على الفيافي ... ونحن هنا نمل من الوساد
وأيتاما هناك تبيت جوعى ... وبيت اللص مرفوع العماد
وسائلة ، تنادي الريح زوجا ... فتمضي الريح تسخر بالتنادي
روت لصغارها : سيعود يوما ... فكان الموت من دون المعاد
وضمته الجزائر كنز خصب ... فنحن اليوم ، في عيد الحصاد

* * *

جميلة هؤلاء بنو دمشق ... نزلت بهم فهلل كل نادي
لكم طاروا اليك على جناح ... من الاشواق ، يهزأ بالبعاد
نزلت على الألى من عبد شمس ... أشاعوا الخصب في الحجر الجماد
اقاموا راية الفصحى . ونقوا ... أديم الارض ، من دمن الفساد
هم القوم الذين اذا استثيروا ... أتاك الغوث متصل العهاد
لئن غمدت سيوف عن هواها ... فما غمدت أكف من جواد
لقد عرفت فلسطين دمانا ... تسيل رخيصة يوم الذياد
ننام على هواها . أي نوم ... وهل نوم على حسك القتاد ؟
وكيف يقر عرض مستباح ... وكيف ينام مسلوب البلاد
ستلقانا بطاح القدس جمعا ... فتنسى مر ما صنع الاعادي .

* * *

لنا وطن وليس لنا حدود ... فنحن وانتم : طرفا مهاد
اذا العذراء في اوراس نادت ... تلقتها المسامع من بلادي
وهب الشام يحميها فداء ... وما كالشام من حام وفادي
على حب العروبة قد نشانا ... وهل في الحب تطمع في ازدياد ؟
نعادي المفترين : على التجني ... ونحن على العروبة لا نعادي

الشعر العراقى الحديث

منذ بداية القرن العشرين

بقلم : بدر شاكر السياب

لعل العراق عرف من الشعراء ، في ما يسمى بـ « الفترة المظلمة » أكثر مما عرف اي قطر عربي آخر. فبالاضافة الى عبد الباقي العمري وعبد الغفار الاخرس والسيد حيدر الحلي والسيد محمد سعيد الحبوبي ، هناك عدد كبير من الشعراء الآخرين الذين كانوا أقل شهرة من هؤلاء . وحين أهل ما يسمى بـ « عصر النهضة » كان للعراق شعراؤه ايضا . وكان هؤلاء الشعراء شبه امتداد لشعراء « الفترة المظلمة » . فلا سبيل الى المقارنة بين خليل مطران أو أحمد شوقي أو حتى حافظ ابراهيم في مصر وبين معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وهما « أكبر شاعرين » عرفهما العراق في عصر النهضة .

واذا كان معروف الرصافي يستحق أن يسمى – بكثير من التحرز – شاعرا ، فلا أدري ماذا يملك الزهاوي مما يستحق معه أن يسمى شاعرا . فحين نعتبر « وظيفة » الشاعر وظيفة سياسية أو اجتماعية أو فكرية نجد أن الرصافي قد أسهم بشيء من كل هذا ، مما حدا بدعاة الالتزام الى اعتباره « شاعرا كبيرا » . أما الزهاوي ، « شاعر العراق وفيلسوف شعرائه » كما كانت تسميه مجلة « الرسالة » المصرية ، فان « فلسفته » هي أنه كان يطلع على نتف من نظرية « دوران » – كما كان يشهر بها الكاتب المصري سلامة موسى – ثم « ينظمها » أبياتا ركيكة تفتقر حتى الى الرنين الموسيقي .

وبينما كان الرصافي والزهاوي حديث المجالس والندوات الادبية – وحتى السياسية – في بغداد ، كان في مدينة (النجف) – المدينة التي كل أهلها « شعراء » – اي نظامون – كما يقول المثل العراقي – شعراء لم يكتب لهم ما كتب للرصافي والزهاوي من شهرة ، وان كان بعضهم يفوق هذين الشاعرين ، او يفوق الزهاوي على الاقل ، بمراحل كثيرة . فما من منصف الا ويفضل الشيخ محمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي الجواهري – حتى في ديوانه الاول – على « شاعري العراق الكبيرين » الرصافي والزهاوي . ومات الزهاوي فلم يؤثر موته في شيء على « الميزان الشعري » في العراق ، فقد ظل الرصافي يعتبر « شاعر العراق الفرد » ، وظل سواه من الشعراء دونه شهرة . ومع أن محمد مهدي الجواهري كان قد كتب قصيدته « ستالينغراد » – التي جعلت الشيوعيين ينصبونه « شاعرا أكبر » على البلاد العربية كلها – فقد حدثت مساجلة شعرية بينه وبين معروف الرصافي في آخر ايامه ، أعلن فيها الجواهري في استخذاء ما بعده استخذاء ، أنه يقاسي مثل ما يقاسيه الرصافي من حرمان ومن انكار لمواهبه . واستجدى فيها الرصافي ان يعتبره خليفة له . ومات الرصافي .. فوقف على قبره – بعد أن ووري التراب – شاعر ارتجل – وهو يرتجف – قصيدة رثاه بها ، وندد فيها بالحاكمين الذين ظلموا الرصافي وظلموا الشعب كله . كان هذا الشاعر محمد صالح بحر العلوم ، « شاعر الشعب » كما سمته جريدة الشعب اليسارية في فترة الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك اليوم بدأت منافسة جديدة بين شاعرين جديدين – الجواهري وبحر العلوم – لتحل محل المنافسة التي كانت قائمة بين الرصافي والزهاوي . دخل هذان الشاعران في تلك المنافسة ، وسلاح الاول موهبته الشعرية وجريدته التي راحت تخلع عليه الالقاب وتنشر قصائده في موضع المقال الافتتاحي ، وسلاح الثاني اخلاصه الصادق للشيوعية وتفانيه في بث أفكارها .

وليس معنى هذا ان الجواهري لم يكن يبشر بالافكار الشيوعية في شعره • وما لبث ان جمع الشاعرين حزب سياسي واحد هو حزب « الاتحاد الوطني » • لكن رضاء الحزب الشيوعي العراقي عن هذا الشاعر أو ذاك كان هو الذي يرجح كفة هذا الشاعر او ذاك • ولم يكتف الحزب الشيوعي العراقي بالوقوف موقف المراقب في هذا الصراع الشعري • فحين برز الى العمل العلني تحت واجهة من « عصبة مكافحة الصهيونية » ـ التي أجازتها الحكومة ـ و « حزب التحرر الوطني » الذي ظل يواصل نشاطه فترة طويلة وان لم تجزه الحكومة ، جند شعراءه ، الذين كانوا أعضاء فيه أو أصدقاء له ، وزج بهم في الميدان • فصفقت جموع «المناضلين» و«الكادحين» لعلي جليل الوردي، وجاسم الجبوري وبدر شاكر السياب •

لكن عام ١٩٤٧ سجل تحولا في اتجاه الشعر العراقي وأساليبه • ففي أواسط ذلك العام أصدرت الشاعرة العراقية نازك الملائكة ديوانها الاول (عاشقة الليل) ، وفي أواخره أصدر بدر شاكر السياب ديوانه الاول « أزهار ذابلة » • وبصدور هذين الديوانين بدأت حركة الشعر الجديد في العراق ••• فجاز ، لمن يريد التحدث عن الشعر العراقي المعاصر ، بعد ذلك أن يقصر حديثه على الشعراء الشباب وحدهم الذين فتحوا للشعر العراقي آفاقا جديدة واستطاع بعضهم أن يسمع صوته لجهات كثيرة خارج العراق •

غير أن الاحداث السياسية لم تكن لتترك الشعر يأخذ مجراه • فقد شهد العراق في أوائل عام ١٩٥٨ ما يسمى ب « الوثبة » ـ وهي الحركة الشعبية التي أطاحت بحكومة صالح جبر وتسببت في الغاء معاهدة (بورتسماوث) • وشهد العراق فترة من الحرية لم يشهد شبيها لها منذ سقوط بغداد على يد هولاكو حتى ١٤ تموز ١٩٥٨ • مئات من المظاهرات التي كانت تلقى فيها القصائد وعشرات من الاجتماعات التي يعتلي المنابر فيها عشرات من الشعراء • وصار أكثر الناس لا يلقون بالا لغير الشعر « الملتزم » ، الذي لم يكن في أغلب الحالات ـ سوى مقالات سياسية أخضعت للوزن والقافية• وانطوى كثير من الشعراء الحقيقيين على أنفسهم ، يكتبون الشعر ثم يقرأونه على أصدقائهم في مجالسهم الخاصة • ثم نشبت الحرب الفلسطينية ، وأعلنت الاحكام العرفية في العراق • فخفت الغليان السياسي في العراقي ، وخفتت معه أصوات الشعراء الملتزمين ، الا الجواهري الذي لم يكف عن كتابة الشعر السياسي ، والا الشعراء القوميين ـ القوميين العرب طبعا ـ الذين راحوا يكتبون قصائد يحثون الناس فيها على الجهاد ومحاربة الاعداء في فلسطين •

في تلك الفترة ولد « الشعر الحر » ـ وهو الشعر الذي لا يتقيد فيه الشاعر بأن يكون عدد التفعيلات متساويا في كل أبيات القصيدة ـ وان كان « جنينه » الحق قد رأى الحياة عام ١٩٤٦ حين اكتشف بدر شاكر السياب هذه الامكانية في قصيدته (هل كان حبا ؟) المنشورة في ديوانه (أزهار ذابلة) الصادر عام ١٩٤٧ ، وحين نشرت الاستاذة نازك الملائكة قصيدة لها كتبتها على هذه الطريقة في مجلة (العروبة) التي كان يصدرها الاستاذ محمد علي الحوماني عام ١٩٤٧ • وأصدرت نازك الملائكة ديوانها « شظايا ورماد » عام ١٩٤٨ وأصدر بدر شاكر السياب ديوانه « أساطير » عام ١٩٥٠ • فبدأت حركة الشعر الحر منذ ذلك الحين •

ولم تتح ، في تلك الاثناء ، للشيوعيين أية فرصة لعقد اجتماع « جماهيري » ـ كما يسمونه ـ او اقامة حفلة ، مما ساعد على اضعاف حركة الشعر المنبري • وتلقف الشعراء الشيوعيون الشباب حركة « الشعر الحر » فتبنوها • ونصبوا لها أميرا منهم هو عبد الوهاب البياتي الذي زعموا أنه هو « رائد الشعر العراقي الحديث » • وراحوا يكتبون المقالات المبنية على (الدايلكتك) الذي « لا يمكن أن يخطىء أبدا !! » فحركة الشعر الحر ـ كما يزعمون بدأت بتغيرات « كيفية » أدت بدورها الى تغيرات « كمية » •• أي في عدد التفاعيل • هكذا! بكل بساطة تصبح حركة الشعر الحر حركة ماركسية • متجاهلين أن التغيرات « الكمية » ـ اي التغير

في عدد التفعيلات في كل بيت – هي التي سبقت التغيرات « الكيفية » ، اي المواضيع التي أصبح الشاعر يكتب فيها وأسلوبه في الكتابة • وعزز هذه الدعوى الشيوعية جهل بعض الفئات الرجعية التي راحت تزعم ان حركة « الشعر الحر » انما تهدف الى القضاء على الشعر العربي وعلى الاساليب العربية وان الشعوبيين – أو الشيوعين – هم أول من جاء بهذه البدعة •

صحيح ان بدر شاكر السياب كان عضوا في الحزب الشيوعي العراقي حين بدأ كتابة الشعر الحر • لكنه أوقف « شعره الحر » على عواطفه الذاتية – التي كانت متشائمة ، راغبة في الموت والفناء – بينما ظل يكتب قصائده « النضالية » على الطريقة التقليدية ليتمكن من القائها في المظاهرات او من على المنابر – او ليلقيها أي « مناضل » سواه – متى واتته الفرصة • هذا من ناحية الشكل • أما من ناحية المضمون فقد كان للشاعر الانكليزي الكبير ت•س• ايليوت (الشاعر « الرجعي » كما يسميه الشيوعيون) ، أكبر الاثر • فعن طريق تقليده – تقليدا سطحيا بالطبع – شاعت طريقة التكرار – اي تكرار بيت معين – وطريقة التضمين بحيث ينعكس المعنى الاصلي الذي قصد اليه الشاعر المضمن قوله ، وطريقة الالتجاء الى الاسطورة ، وخاصة اسطورة ادونيس – تموز – التي شاع استعمالها في الشعر العربي الحديث رمزا للبعث بعد الموت ، كما شاعت طريقة استعمال الديالوج ، واستعمال لغة الحوار اليومي • ومسخ الشعراء الشيوعيون طريقة ايليوت • فشاع التكرار على نحو ما يكرر المتظاهرون شعارا معينا أثناء سيرهم ، وشاعت طريقة تضمين الشعارات السياسية ، واستعمال اللغة العامية دون ضرورة الى استعمالها • واذا كان عبد الوهاب البياتي بداية هذا الانحراف الشيوعي في الشعر ، فان « الشهرة » التي نالها والثناء الذي لقيه شجع بقية الشعراء الشيوعيين على التمادي في هذه المساوىء التي اعتبرت حسنات • قال أحدهم في قصيدة :

جمعة الاتراك أحد
كوم باوع يا محمد !!

ففي البيت الاول ضعف (الحاء) في كلمة (أحد) • اما البيت الثاني فهو باللغة العراقية الدارجة ومعناه (قم فانظر يا محمد) • وقال شاعر شيوعي آخر :

معي كان في ٥ / ٦
وقد كنت أشرب صوته

ان البيت الاول لا يستقيم الوزن فيه الا اذا لفظنا التاريخ كما يلفظه العامة ، فقلنا (معي كان في خمسة سته) اي بترك التاءين في خمسة وستة دون تنقيط ولا تحريك •

ان في العراق اليوم جمعيتين أدبيتين هما (اتحاد الادباء) ويسيطر عليه الشيوعيون و (جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين) ويسيطر عليها الرجعيون • على ان في كلتا الجمعيتين عناصر طيبة تتمتع بشبه استقلال فكري •

وتلاحظ اليوم في الشعر العراقي ردة على الالتزام • لقد عاش أغلب الشعراء العراقيين فترة طويلة من حياتهم – هي فترة الشباب – وهم لا يكتبون الا عن الفقر والجوع والبطالة والظلم والطغيان ، أن يلتفتوا الى أنفسهم فيعبروا عما تجيش به من عواطف تجاه الطبيعة والموت والله • وان المتتبع لحركة الشعر العراقي ليلاحظ اليوم – حتى عند بعض الشعراء المعروف أنهم « شيوعيون » – نبرة دينية تتراوح قوة وضعفا حسب موقف الشاعر الايديولوجي والسياسي • كما يلاحظ فورة في العواطف نحو الجنس الاخر ونحو الطبيعة والجمال بصورة عامة • ولعله تعويض عن فترة شبابهم الضائعة عبثا في الالتزام • ونستطيع أن نعدد بضعة اسماء من اسماء الشعراء العراقيين تقف شامخة على سواها • فهنالك الاساتذة : نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الجبار داود البصري في جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين ، وهناك سعدي يوسف ورشدي العامل وحساني على الكردي في اتحاد الادباء •

ولن يقدر للشعر العراقي الحديث الازدهار الا اذا تخلى نهائيا عن الالتزام ، واتخذ من شعراء الغرب الكبار أمثال ت•س• ايليوت وسان جون بيرس وايدت ستويل وستيفن سبندر وسكليانوس – لا من ناظم حكمت وبابلو نيرودا وقسطنطين سيمونوف – قدوة له •

أثر الأدب العربي في الآداب الاوربية

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

لقد ترك الادب العربي أثره في الآداب الاوربية في جملة اشياء منها :

(١) الصوناتات او الارانين التي ما هي في الحقيقة والواقع غير الموشحات الاندلسية فهذه الموشحات انتقلت من اسبانيا الى فرنسا وايطاليا فشاعت في هذه الاخيرة شيوعا كبيرا ، ومن ايطاليا هذه انتقلت الى انكلترة وكان اكثر شعراء الانكليز ولعا بها شكسبير الذي نظم ما ينوف على الـ ١٤٥ صوناتا وجون ملتن الذي تفنن في ترتيب اسماط واغصان واقفال الصوناتات تفننا يدعو الى العجب والدهشة ، وهذه الصوناتات او الموشحات الافرنجية تتألف من اربعة عشر بيتا (وهي مؤلفة من احد عشر مقطعا في الايطالية وعلى العموم من اثنى عشر مقطعا في الفرنسية ومن عشرة مقاطع في الانكليزية) واشهرها الارانين البتراركية والاليصاباتية .

وممن اشتهر بنظم الارانين الشاعر الرومانتيكي جون وردزورث (المتوفى سنة ١٨٥٠ م) واليزابت باريت براونغ التي عرفت بمجموعتها الموسومة بـ « ارانين من البرتغاليين » نشرتها سنة وفاة وردزورث (١٨٥٠م) وقد استوحتها من تعلقها الشديد بزوجها الشاعر روبرت براوننغ .

اما صوناتات شكسبير فكلها غزل بالمذكر (وهي اكبر شاهد على ان الغزل بالمذكر لم يقتصر على الادب العربي فحسب كما يحلو لبعض الزاعمين أن يزعموا) وكلها موجهة الى اللورد وليم هيربرت ، ويذكر شكسبير خلالها — عدا تغزله بهذا اللورد الشاب — بعض الامور التي اتفقت له في حياته من نحو كلامه عن شاعر منافس وحبيبة مسروقة ، وجمال أسمر ... الى غير ذلك من الاشخاص والقضايا .

(٢) الحب العذري (وهو غير الحب الافلاطوني الذي لا يتأثم من القبلة والمعانقة) انتقل هو الآخر بدوره من اسبانيا العربية بعد سقوطها بايدي القشتاليين الى جنوبي فرانسا حيث ظهر التراوبادور وهي لفظة محرفة عن كلمة عربية هي « المطربون » وهم شعراء عذريون غزلون كانوا ينظمون اشعارا غنائية في بروفنسال القديمة وقد حذا حذوهم شعراء المان عرفوا بالـ « المتغنون بالحب » وقد شاع امرهم في القرن الرابع عشر ولو اننا نجد اثرا لهم في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وهذا الغزل هو غزل بالمؤنث اما الغزل الافلاطوني او السقراطي كما يسمى احيانا (راجع الصفحات الاخيرة من « مائدة افلاطون ») فغزل نواسي بحت .

(٣) الحركة الرومانسية الناجمة عن ترجمة كتاب الف ليلة وليلة فقد ترجم الى الفرنسية سنة ١٧٠٤ على يد كالان سفير فرنسا في الاستانة يومذاك فكانت عاملا في دك معقل الكلاسيكية في فرنسا وخلق روح الرومانسية في الادب والفن وايجاد اسلوب قصصي جديد في النقد هو الايماء الى الملك والكنيسة برموز شرقية والباس الاوضاع السيئة السائدة في فرانسا في القرن الثامن عشر ثوبا شرقيا للتهجم على مفاسد البلاط والطبقة الحاكمة في فرنسا بحرية وشدة — كل هذا مما عجل في سقوط الملكية لان الرومانسية لا تعيش الا في ظل الديمقراطية البرلمانية اما الكلاسيكية فصنو للملكية المستبدة او الدكتاتورية .

واكثر ادباء اوربا تأثراً بألف ليلة هم بوكاشيو

(١٣١٣) ولا سيما في الديكاميرون أو « العشرة الايام » وشوسر في « قصص كنتربري » •

وشكسبير في مسرحية « عطيل » و « حلم ليلة في منتصف الصيف » و « العاصفة »(١) وراسين في مسرحية « فيدر » وفولتير في قصة « صادق » وغوته في « الديوان الشرقي لمؤلفه الغربي » وشيلي في « ثورة الاسلام » •

(٤) الاوزان العربية : لم يكتف شعراء اوربا بأخذ الصور والاخيلة واقتباس العواطف الرومانسية من الادب العربي بل ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك فأخذ حتى بعض الاوزان العربية فنظم بها شعرا في الانكليزية على نحو ما فعل الشاعر اوبرت براوننغ الذي أخذ البحر الطويل : (فعولن ـ مفاعلين ـ فعولن ـ مفاعلن) فنظم به بعض الخوالد من قصائده •

وقد حاكى كل من رينولد نكلسن وآربري والسر جارلس لايل الاوزان العربية ولا سيما هذا الاخير في ترجمته للمعلقات السبع •

وانتقلت أوزان الزجل العامي الاندلسي الى شعراء البروفانس فابن قزمان الذي نقل العروض العربي من عروض « كمي » الى عروض « كيفي » أي من عروض مقطعي الى عروض ذى نبرات عاش في القرن الثاني عشر للميلاد وكان معاصرا لشعراء التراوبادور فأخذوا عنه شيئا غير يسير مما ابتدعه من أوزان زجلية استعملت في أزجالهم التي أطلقوا عليها اسم (فيلانسيس) ولحسن الحظ ان مائة وخمسين مقطوعة من زجل ابن قزمان لم تمتد اليها يد البلى والحدثان وقـد استطاع المستشرق الاسباني « كارثيه كومث » احياءها ونشرها مؤخرا •

وقـد عورضت أوزان الشاعر البروفنسالي وليم بواتييه مع أوزان ابن قزمان فوجد تشابه عجيب بينهما ، فلا بد أن بعض تفاعيل الزجل الاندلسي العربي انتقلت عن هـذا السبيل الى العروض الفرنسي والانكليزي والالماني وسائر اللغات الاوربية • وسنتوصل الى شيء جازم حازم بعد الفراغ من دراسة أوزان زجل ابن قزمان ومقارنتها بالبحور الافرنجية •

(٥) المقامات : كانت المقامات العربية سببا في ظهور « أدب الكديه » عند الاسبان ، ويقابل (ريبالدو) الاسباني « أبا الفتح الاسكندري » أو « زيد السروجي » في المقامات العربية • ومـن أشهر المقامات الاسبانيـة : « الفارس سيفار » وقد وجد تشابه واضح في حكايات بعض المقامات الايطالية والعربية •

(٦) وثمة عدد من الكتب الادبية التي أثرت في الاداب الاوربية أهمها على سبيل التمثيل لا الحصر :

(أ) رسالة الغفران لابي العلاء المعري وكانت المصدر الاساسي للكوميديا الالهية لدانتي •

(ب) الفتوحات المكيـة لمحيى الدين بن العـربي وكانت مصدرا لوصف الجنة في الكوميديا •

(ج) ديوان الازجال العامية لابن قزمان المتوفى سنة ٥٥٥ هـ وكان ذا تأثير في شعر « الفيلالنثيكو » العامي الذي نشأ في مقاطعة البروفانس في جنوبي فرانسا وكذلك في شعر « المتغنين بالحب » في المانيا •

(د) رسالة حي بن يقظان لابن طفيل وكان من نتاج تأثيرها قصة « روبنسن كروزو » لدانيال ديفو •

(هـ) المعلقات العشر وقد أثرت تأثيرا واضحا في شعر براوننغ وتينيسن وشيلي •

(و) كليلة ودمنة وقد كانت حافزا لظهور اساطير لافونتين •

(ز) الف ليلة وليلة وكان من نتاجها عالم جديد من الادب الادبي [الغربي] نجتزىء منه بما يلي :

(١) الديكاميرون لبوكاشيو وقد ظهرت باسم الف ليلة وليلة الايطالية أو الايام العشرة وهي عبارة عن مائة حكاية يقصها سبع شواب وثلاثة شبان يقصون هـذه القصص تزجية لاوقات الفراغ وابعادا لتفكيرهم عـن مآسي الوباء الاسود ونجد ان بامبينيا في هذه القصص أشبه ما تكون بشهرزاد في كتاب الف ليلة وليلة وقد ظهر الكتاب سنة ١٣٤٨ وهي السنة التي تنتهي عندها القرون الوسطى اذ فيها اكتسحت المجتمعات القديمة وحلت محلها مجتمعات جديدة في مختلف ارجاء اوربا •

(١) راجع بحثنا : « العناصر العربيـة في أدب شكسبير » في مجلة المعرفة ، العدد ٢٤ •

(٢) حكايات كنتربري لشوسر ولا سيما « حكاية السيد » ، وقد نسجت على غرار الديكاميرون فهي نتاج غير مباشر لتأثير الف ليلة وليلة .

(٣) قصص هانز كريستيان اندرسن الدانمركي وهي الاخرى مستوحاة من كتاب الليالي .

(٤) بعض قصص (او . هنري) المعروف باسم جاك لندن قد استيقت من معين كتاب الليالي وعلى الاخص قصته « قائمة الطعام » التي تحاكي قصة « علي شار والجارية زمرد » .

(٥) قصص « رحلات كلفر » لجوناثان سويفت متأثرة بقصة السندباد البحري .

(٦) فولتير في قصصه الخيالية وبصورة خاصة في قصة « صادق » يعتمد على كتاب الليالي ، وهو القائل : « لقد أصبحت قاصا بعد أن قرأت كتاب الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة » .

(٧) ستيندال مؤلف قصتي « الاحمر والاسود » و « ديربام » الذي أفاد من كتاب الليالي وقد اعترف بذلك بصورة غير مباشرة حين قال : « أرجو من الله أن أصاب بفقدان الذاكرة لاقرأ الف ليلة وليلة من جديد فألتذ به كما التذذت أول مرة » .

(٨) الكاتب المسرحي جورج برناردشو الذي تأثر بكتاب الليالي فقال باسلوبه الفكه : هناك ثلاثة كتب أثرت في حياتي : « الانجيل والف ليلة وليلة وكتاب ثالث لا يحضرني اسمه » .

(٩) موريس جيراردو الذي اعتمد في كتابة أطروحته الموسومة بـ « الكبد والمرارة في قصص الف ليلة وليلة » لنيل شهادة الدكتوراه في الطب على كتاب الليالي .

(١٠) لقد توصل وليم شكسبير الى قصص الليالي عن ثلاث طرق : (١) الديكاميرون (٢) السياح والسفراء والتجار (٣) البحارة العرب الذين التجأوا الى سواحل كورنوول على أثر دمار الارمادة (اسطول فيليب الثاني الذي بعث به لقتال أساطيل الملكة اليصابات الاولى فحطمته العواصف والزوابع فضلا عن سفن العدو المقاتلة) .

واليك مسرحياته والمتأثرة بألف ليلة وليلة :

(١) مسرحية « اوتيللو » تشبه « حكاية قمر الزمان ومعشوقته » . وقد يكون اسم اوتيللو تصحيفا لعبيد الله الجوهري بطل قصة حكاية الف ليلة وتنتهي كمسرحية اوتيللو أو عطيل (على ما سماها خليل مطران في تخريج غريب لا نرى له وجها) بأن يخنق البطل زوجته ، وسبب الغيرة عند اوتيللو المنديل وعند الجوهري السكين تارة والساعة تارة أخرى بيد اننا نجد الجوهري أقسى من اوتيللو اذ انه يخنق زوجته وجاريتها معا ذلك لان زوجته كانت خائنة حقا وقد ساعدتها جاريتها مع هذه الخيانة في حين ان ديزديمونا زوجة اوتيللو كانت بريئة وماتت ظلما وعدوانا وقد تحقق اوتيللو نفسه من ذلك فيما بعد فعمد الى الانتحار تكفيرا عما جنته يداه . (تراجع الليلة ٩٦٢ ـ ٩٧٢) .

(٢) مسرحية « تاجر البندقية » تشبه « حكاية مسرور التاجر وزين المواصف » في أن مصير اليهودي في الف ليلة أفظع من مصيره عند شكسبير .

(٣) مسرحية « العاصفة » تشبه « حكاية جزيرة الكنوز » فكلتاهما مليئة بالسحرة والشياطين التي تأتمر بأمر سلطان الجزيرة . ولكل من شخصيتي كاليباني وآريل مكان في قصة الليالي .

(٤) ويرجع بعض الباحثين مقدمة « ترويض النمرة » الى أصول الف ليلة وليلة .

(٥) تصور قصة « الملك لير » لشكسبير و « حكاية يونان والحكيم رويان » في الف ليلة فكرة الجحود ونكران الجميل وهما شر ما نقم عليه شكسبير ومؤلف كتاب الليالي معا .

وقد أثرت قصص « كليلة ودمنة » في « حكايات لافونتين » الفرنسية ، ولافونتين[٢] هذا هو جان دي لافونتين الشاعر الفرنسي ذو الجوانب الادبية المتعددة فقد الف في الدراما ونظم في الهجاء وما يسمونه « بالشعر الخفيف » ولكنه اشتهر بصورة رئيسية بحكاياته وقصصه التي شرع بوضعها ابتداء من سنة ١٦٦٤ وأصدر مجاميع متتابعة لحكايات منظومة أعاد فيها صياغة اساطير غريبة

(٢) ولد سنة ١٦٢١ وتوفي سنة ١٦٩٥ .

وشرقية أميزها تلك التي صدرت في السنوات ١٦٦٨ و ١٦٧٨ و ١٦٩٤ ومصدرها كما قلنا شرقية ويونانية ورومانية ومعاصرة ومع أن هذه الحكايات في مظاهرها الجدية تعرض وجهة نظر قاسية وشاكة في الحياة فانها تسرد بسذاجة لا تحاكى وبعاطفة شبه وثنية آراء عن الطبيعة مما جعل لافونتين من أعظم القاصين الاسطوريين ان لم يكن أعظمهم جميعا .

وقيل ان كليلة ودمنة في أصولها القديمة(٣) – أي قبل ترجمتها الى العربية – قد أثرت في أساطير ايسوب اليوناني وان ايسوب اليوناني هذا هو لقمان الحكيم ليس غير .

وتروي المصنفات التاريخية ان ايسوب عاش حوالي القرن السادس قبل الميلاد وكان عبدا قنا لآيادمون واكبر الظن ان الاساطير التي نسبت اليه هي تلك التي جمعها من مصادر متنوعة ولعدد من المؤلفين . ويقال ان ايسوب هذا لم يرزق وسامة في الوجه أو صباحة في المحيا بل كان على العكس دميما مشوها هذا اذا صدقنا ما يذكره الراهب ماكسيموس بلانوديس الذي عاش في القرن الرابع عشر للميلاد وكتب سيرة المؤلف الاسطوري . وايا كان الامر فان اثنين من أكابر الكتاب الاسطوريين وهما ايسوب(٤) ولافونتين قد تأثرا بكليلة ودمنةومصادر اسطورية شرقية بصورة عامة وغربية بصورة خاصة .

ولم يكن تأثير الادب العربي في الاداب الاوربية مباشرا فحسب فهناك تأثيرات غير مباشرة ايضا عن طريق الديكاميرون مثلا فقد كان من نتاجها مسرحية « العبرة بالخواتيم » لشكسبير ، ومسرحية « ناثان الحكيم » للسنغ الالماني ، و« قصص خان بمنعطف الطريق » للونكفيللو .

ومن آثار الادب العربي والثقافة العربية المخطوط المحفوظ في مكتبة بودليان بأكسفورد والمتضمن للمساجلات التي دارت بين دانتي وفردريك الثاني ملك صقليا حول مذهب ارسطو وانك لتلمح المظهر العربي في هذه المساجلات واضحا صريحا .

(٣) الاصول السنسكرية والفارسية .

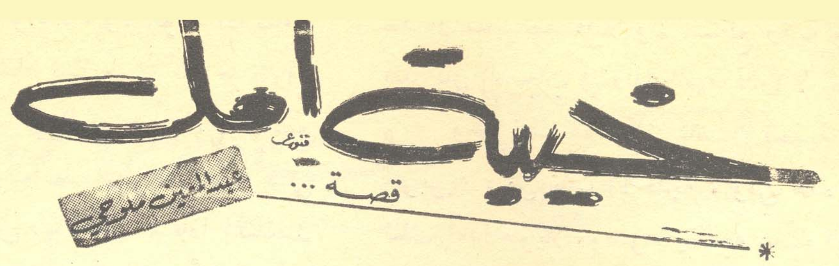
(٤) من المفيد ان نذكر هنا ان للشاعر الانكليزي « لاندور » محاورتين خياليتين مع ايسوب وصديقه القن رودوب .

ومن ثمرة تلقيح الثقافة الغربية بالثقافة العربية بقوة التشخيص الافرنجية ظهر ما يعرف اليوم بالقصة الحديثة كان ذلك بظهور قصة « باميلا » لريجاردسون وذلك سنة ١٧٤٠ وهي على هيئة سلسلة رسائل من البطلة « باميلا اندروز » الخادمة التي تشرع بسرد القصة في رسائلها عقيب موت سيدتها مباشرة ، وفيها يتجلى وقوع ابن سيدتها في غرامها ومحاولته استغلال نفوذه كسيد أزاء خادمة فترفض طلباته غير الشريفة بصلابة وعناد وتترك منزله ولكنه يتعقبها دون جدوى واخيرا عندما يجدها بهذه القوة يتقدم منها خاطبا ويتزوجها . وفي القسم الثاني من الكتاب ، ذلك الذي طبع سنة ١٧٤١ ، وكان الافضل أن يحذف لعدم ضرورته لاكتمال القصة في القسم الاول نجد باميلا امرأة متزوجة تتحمل بصبر ولطف العبء الذي حمله أياها زوج متحلل مبذر قليل الاكتراث بأمور اسرته .

وقد ترجمت القصة الى الفرنسية والهولندية وغدت هدفا للغمز واللمز في مؤلفات عدة مماثلة صدرت لمعارضتها ولانتقاص قيمتها ، فمنها مثلا كتاب بعنوان « اعتذار عن حياة السيدة باميلا اندروز » (١٧٤١) لا يحمل اسم مؤلف معين وأكبر الظن انه للكاتب الانكليزي فيلدنغ لوجود كتاب آخر له بنفس المآل يحمل توقيعه وهو بعنوان (جوزيف اندروز) .

وقد كان تأثير الادب العربي في الاداب الاوربية لا في الناحية الجدية فحسب بل في الناحية الفكهية ايضا فهذا كتاب سيرفانتيس الموسوم بـ « دون كيشوت » والذي وضعه مؤلفه في الجزائر بعد اقامته فيها بضع سنوات ، وعباراته والامثال التي يضمها عربية في الصميم ،وفكاهاته ونوادره اندلسية ، هذا اذا صدقنا بريسكوت في تحليله للكتاب .

ولعل خير من أعترف بفضل العرب على الثقافة الاوربية بصورة عامة والثقافة الاسبانية بصورة خاصة هو الكاتب الاسباني « ايبانيز » وكان المتوقع منه أن تضع عصبيته الاسبانية العنيفة التي عرف بها على عينيه غشاوة الا أن الظاهر ان يقظة ضميره كانت أقوى من عصبيته الضيقة !...



كان يجب أن أجعل عنوان هذه الحكاية الصغيرة خيبة أملين ، فقد أصبت في الواقع دفعة واحدة وفي دقيقتين متتابعتين بخيبتين تناولت أملين صغيرين من آمال فتى مراهق ، والعجب أنهما أبكتاه كثيرا ، وكانت لهما أثر كبير في حياته المستقبلة ، ربما ينظم فيها قصيدة عصماء يذكر فيها ظلم الحياة وخيانة الاصدقاء وشقاء الانسان الى آخر هذه المعزوفة التي يجيد المراهقون تلحينها ، وليس فيها حرف واحد صحيح ..

كنت في السادسة عشرة من عمري وكنت طالبا في مدرسة ثانوية ، وكنا قد نذهب لنتغذى في بيوتنا ثم نعود الى المدرسة بعد الظهر لمتابعة الدروس :

كان الوقت ربيعا في أواخر عهد البرتقال ، وكنا في أواخر أيام الدراسة .

وتغذيت في المطبخ كما جرت عادة أمي في اطعامنا ، ومطبخنا حي كامل تسير فيه فلا تنتهي . باب منه يطل على مرحاض ضخم صنع من حجارة سود كبيرة كأنما أعد للفيلة ، بل قد تخشى الفيلة أن تنزلق أقدامها في جورته ، وباب آخر يطل على ما يسمى حماما ، وليس بحمام ولكنه سمي هكذا منذ بناء هذا البيت ، تفاؤلا بالمستقبل ، أي أنه سيكون بعون الله حماما في يوم من الايام ، من عمر الوالد أو من عمر الابناء ، وربما كان في يوم من عمر الاحفاد .

وفيه سلم يصعد الى سقيفة ، كانت تذكرني دائما بسقيفة بني ساعدة ، فالحق انها كانت قادرة على ايواء قبيلة ، ومن هذه السقيفة تمتد سقيفة اخرى نصعد اليها قفزا ، وتأوي الى هذه السقيفة الثانية أكوام من الاحطاب والاخشاب والاشجار والاغصان ، قادرة على أن تمد جهنم بما تحتاجه من وقود سنة كاملة ، وقد أعدت كلها للحمام الموعود ، وتراكمت الاخشاب سنة بعد سنة في انتظار يوم قيامتها ، حين تقذف بها في فم الوجاق المنتظر .

ولكن مالي أستطرد !؟ وليس في هذا الاستطراد ما يفيد في عرض موضوع أملي الخائب ، أو أملي الخائبين فقد تغذيت في المطبخ ، وتركت الوالدة مشغولة فيه ، أو على الصحيح غاطسة في لجته ، وزحفت رويدا رويدا الى بيت المؤونة ، وهو بيت أسطوري أيضا ، اقيم منذ مائة عام وتشقق سقفه من العقد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ولكنه ظل قائما يهزأ بالشقوق ، وقامت فيه خزانتان في قلب الحائط فيهما كل مؤونة البيت عن سنة كاملة ، وأول هذه المؤونة وأطيبها المعقود (المربى) بمختلف أشكاله وألوانه من الباذنجان حتى التفاح مارا بجميع أنواع الفواكه ، وكنا نتصور أن تحت هاتين الخزانتين لا بد أن نلقي كنزا بل وكنزين ، تحت كل خزانة كنزها الخاص ، وكنا نربت على أرض الخزانة بأيدينا ونطبطب عليها في انتظار اخراج الكنز ... ولم يمنعنا خروج فئران من ثقوب هذه الارض حينا بعد حين من التمتع بأحلامنا الحلوة ، وكم كانت خيبة أملنا كبيرة جد كبيرة حين استطعنا بعد ثلاثين سنة من تاريخ هذه الاحلام أن نهد الغرفة العجوز ، وأن نرفع سقفها المتفسخ وأن نحفر أرض الخزانتين لنجد بدل الكنزين أكواما من الزجاج والبللور المكسر كانت السيدة الوالدة تحشو بها جحور الفئران ... ولم نجد شيئا آخر .

من يدري ؟ لعل الفئران التي أساءت الوالدة ضيافتها وجرحت كرامتها وأذنابها باللور المتكسر قد انتقمت منا شر انتقام فحملت معها الكنز الى جحور أخرى في خزانات أخرى .

ما أزال استطرد فأذكر خيبة الامل في الحمام وخيبة الامل في الكنز ، وليست لهما علاقة بخيبة الامل التي أريد أن أتحدث عنها .

كانت لنا طرق شيطانية في فتح الخزانتين ... احداها وأسهلها أن نحتفظ بمفاتيح ثانية لهاتين الخزانتين ،

تخفيها في أماكن لا تستطيع الوالدة ، ولا الوالد اذا شاء ، وكان ـ رحمه الله ـ لا يشاء شيئا من كل ما تشاؤه الوالدة ، ولا يعرف شيئا عما في البيت ، أقول لاتستطيع الوالدة مهما حاولت أن تعرف لها مقرا فهي دائما في كل مكان ، وهي دائما ليس لها مكان ، فاذا اكتشفت هذه المفاتيح فلنا طرق أخرى : اذا أرسلتنا الوالدة لنأتي بشيء من الطعام من احدى الخزانتين ، أغلقنا الخزانة بكل أمانة بالمفتاح ، وأعطيناه للوالدة ، ولكننا نكون قد قمنا بعمل شيطاني صغير جدا هو أن نرفع الجرار الداخلي من باب الخزانة فتبدو كأنها مغلقة ، وكم كان سهلا علينا اذا عدنا عند العصر ، بعد انتهاء المدرسة الى البيت ، فلم نجد الوالدة ، وقل أن نجدها في مثل هذا الوقت : فتحنا الباب بهزة صغيرة فانفتح على مصراعيه وبدأت عملية الغزو ، عملية اشباع المعد التي عادت من المدرسة خالية خاوية على عروشها أو على بطونها .

وكنا عادة نمسح آثار الغزوة وويل لنا اذا سقطت نقطة من القطر على أرض الخزانة .. ثم نسينا ازالتها ... ان الجريمة اذن تكتشف وان العقوبة اذن صارمة ... ومع ذلك فالجريمة تتكرر والعقوبة تتكرر الى ما لا نهاية ... فحرب الجوع هي أكثر الحروب قدسية وشرفا ، وليس من المعقول أن يصبر الناس ما داموا جياعا الى الخبز أو الى الحرية ، دخلت كاللص غرفة المؤونة ، وفتحت الخزانة فألفيت برتقالة رائعة : لون أحمر قان ، ونضارة رائقة يكاد يسيل شرابها من قشرتها ، وأخفيتها سريعا في جيب السروال ، ووضعت يدي في الجيب زيادة في التخفي ، وأغلقت باب الخزانة في حذر وتركت الجرار مرفوعا استعدادا لغزوة أخرى ، وخرجت مسرعا من البيت .

وتأدى الي صوت والدتي تناديني ولكني كنت قد وصلت الى آخر الشارع وانحرفت في سرعة الى الشارع الكبير ، وكفانا الله شر التفتيش .

وأبصرت من بعيد امرأتين تسيران ، أم وابنتها : الام ما تزال نصف بقايا شبابها فيها ، والبنت صبية في ريعان صباها مثلي .

وأسرعت فسرت أمامهما أعرض عليهما قوامي ، بعد أن سايرتهما قليلا ولم أستطع رؤية وجهيهما .... فقد كان الحجاب في ذلك العهد قدرا لا حيلة للناس فيه.

ومع ذلك فقد كانتا تلبسان احذية عالية وجوارب حريرية ، من تلك الاحذية ، ومن هذه الجوارب التي ظلت أمدا طويلا موضوعا يعالجه علماء الاخلاق ، وظل لبسها مقرونا بالفسق والفجور أعواما غير قصيرة ، حتى دخلت أحذية جديدة وجوارب جديدة ميدان المرأة فتخلت الجوارب القديمة والاحذية القديمة عن معركة الفسق والفجور مفسحة المجال لشقيقاتها الجديدات ، وأصبحن غاية في الحشمة ومثلا أعلى في الادب والهداية

وظللت أمشي أمام المرأتين وأستمع في لذة مابعدها لذة الى وقع حذاءيهما الرائع في أذني ، وأتصور ما فوق الحذاء ... ثم يردني وقعه الجميل اليه .

وتطلعت بطرف عيني أريد أن أرى وجه الصبية وقوامها ، فلم أجد أحدا ، وأدرت وجهي كله فاذا ورائي حمار يمشي على أربع ويقرع بحوافره أرض الشارع قرعا منتظما ، واذا المرأتان قد تركتا الشارع الكبير وانصرفتا منذ أمد الى شارع جانبي صغير ...

وعدت أخني ظهرت واضرب الارض برجلي وأبصق في وجه الحمار ...

هذه خيبة أمل

وتحسست البرتقالة في جيبي ، ان ريقي ناشف ، وهو في حاجة قصوى الى بلة من عصير البرتقال ، ترد عليه طراوته ، وأخرجت البرتقالة وأمسكتها بيدي الاثنتين وقضمتها بقشرها قضمة منكرة ... وأسرعت أرميها وأبصق عليها .. لقد كانت البرتقالة نارنجة مرة لا تطاق ...

كانت تلك خيبة أمل آخر

ومنذ ذلك اليوم لم أر فتاة تنط في الشارع الا ذكرتني خيبة أملي الاول ، ولم أر برتقالة الا ذكرتني خيبة أملي الثاني .

ما أعذب ذكرى هذه الامال الخائبة في هذا الوقت ، ولكنها في ذلك الوقت كانت أساسا راسخا لفلسفة متشائمة قضينا فيها من عمرنا سنين .

حمص في ٢٤ ـ ٩ ـ ١٩٦٢

عبد المعين الملوحي

قلبي بين ناريه

شعر : رضا صافي

القصيدة التي القاها الشاعر على طلابه في حفل مدرسي عام ١٩٥٣

رجعت لدأبي ، فلا تعذلوا / وخلوا الزمان وما يفعل
شبابي يودع ٠٠٠٠ واحسرتي / أيمضي الشباب ولا أحفل !؟
وهل هو الا ربيع الحياة / وجدول صحرائها السلسل
على جانبيه رفيف المنى / ومن خمرتيه الهوى الاول
وفي أفقه للخيال الجموح / مسارح لم يغشها العزل
وفي ساحة المجد يوري الاباء / فكل ذراع به منصل
هو العمر ، جد يلين الصعاب / ولهو أفاويقه منهل
فعزم يثور ، وكأس تدور / وسعد يطالع أو يأفل
ودنيا توثب فيها الحياة / وتنبض أعراقها الحفل
بروحي الشباب ، ولم أفده / بغير جناه ، فمن يعذل ؟٠٠٠٠٠

★ ★ ★

رويدا شبابي ! ولا تبعدن / فزهرك عندي لا يذبل
ألست الهوى والمنى الباسمات / ومرقى الطموح لما يجمل ؟؟
فدونك قلبي ، تلمس مناه / أليست ندايا ، كما تأمل ؟؟
وأصغ لتسمع تسبيحه / وقد ضمه والهوى هيكل
ولا يخدعنك رأي الحسان ، / فتأوى الرعابيب لا تعدل
زعمن المشيب نذير الفناء / وما هو الا الصبا المشعل
تعرض قلبي لنار الجمال / ونار الطموح ، فما يفعل ؟؟
أيحجم ؟ لا ، والهوى والشباب / فمن يبتغي الفوز لا ينكل
وخاض لهيب الهوى والطموح / ولاقى من الدهر ما يذهل
وأمسى ، وقد شيع الاربعين / كعهدك والغصن مخضوضل
هزار بروض الهوى صادح / وصقر بأفق العلا أجدل
سيبلغ ما يرتضيه الشباب / ويشجى به الحاسد المعضل
وان خر دون المنى الغاليات / ففي غرسه الغض ما يؤمل

★ ★ ★

بني ! وأجب بهذا النداء / وان شف عن كبرة تثقل
وحبه أن دعوت الشباب / وناديت جيلا هو المأمل
ربيع الحياة ومضمارها / شبابكم الباسم الاكمل
وأنتم زهور الحمى الباسمات / وأنتم رماح الحمى الذبل
وأنتم بنو الصيد في العالمين / وفيكم تجلى الهدى المنزل
أترضون هذي الدنى منزلا / وان النجوم لكم منزل
وما لذة العيش الا الطماح / وخير اليدين اليد الاطول
فعبوا رحيق الحياة الطهور / وحاشا المروءات ما يخجل
وغنوا الحياة نشيد الحياة / وان دمدم الموت فاستبسلوا
لكم كل نعمى فلا تزهدوا / وللدار حق ٠٠٠ فلا تمطلوا
فيا رب عار يصيب الديار / بغير الدم الحر لا يغسل
وأجمل ما في الحياة الشباب / ولكن اباء الأذى أجمل

حمص : رضا صافي



مارون عبود

بقلم: عزة بشور

في أصيل الثالث من شهر حزيران المنصرم ، فوجىء لبنان بوفاة شيخ أدبائه ، وزعيم نقاده ، وكبير أئمة بيانه ، فوجىء بوفاة مارون عبود ، سيد الحرف ونبي الكلمة في الجيل العشرين ، فياالهول الفاجعة ، ويا لخسارة الادب !

فوجىء لبنان بوفاته ، في الوقت الذي كان فيه يستعد لاقامة مهرجان تكريمي له ، تشاركه فيه الاقطار العربية جمعاء ، اعترافا بفضله وتقديرا لادبه ، وتكريما لنبوغه ، وقياما بواجب نحوه ٠

وما كاد الخبر ينتشر ، حتى توافد الناس الى « الكسليك » وفودا تموج اثر وفود ، من وزراء ونواب ، وشخصيات أدبية واجتماعية وسياسية ، من جميع أنحاء لبنان ، ومن بعض الشخصيات العربية ، جاؤوا جميعا ليودعوا راحلا عظيما ، غاب جسما وما غاب روحا تجري في شرايين الحرف العربي ، وما نأى ذكريات فواحة الاطياب ٠

نزلوا جميعا من قمم الجبال وسفوحها ، ليشاهدوا جثمان راحل عبقري رفع اسم لبنان عاليا ، جثمان راحل أوقف نفسه وصيا على الحرف العربي ، وليرافقوه الى مثواه الاخير في القرية التي أحبها وأحبته ، وتفتح ناظراه على النور فيها ، في « عين كفاع » ، ليرقد في جوار كنيستها التاريخية المحاطة بهياكل عديدة جاثمة فوق رواب يتجلى الجلال في رؤوسها شامخ التيه ، ويتهاوى الجمال على أقدامها فذ الفتون ٠

ألا في ذمة الله ، وذمة العبقرية ، وذمة النبوغ أيها الراقد في « عين كفاع » القرية الوديعة الآمنة ، الناظر الى واديها « الوطا » الرهيب ، الهانىء تحت سمائها الصافية كصفاء الفجر ، النقية كنقاء قلوب القرويين الذين أحببتهم ، المتأمل في أفقها البعيد المدى الرائع المنظر ، في ذمة الله يا أبا محمد ٠

قضيت والشمس جانحة الى الغروب ، وقد وشمت طلول لبنان وأوديته بنقاب أحمر ، فبدت تلك الطلول والاودية كأنها تذرف الدماء بدل الدموع ٠

لقد كنت عظيما يا أبا محمد ، ان اسمك كبير كبير ٠٠ ملأ دنيا العرب وشغل الناس فيها ٠ من نظم شعرا ورضيت عن شعره افتخر وتباهى ، ومن كتب نثرا ولم تجرحه بنقد زها وتعالى ، ومن تتلمذ عليك جر أذياله على السحب تيها وافتخارا ٠ لقد كنت للحرف سيده ونعم السيد ، وللكلمة نبيها ونعم النبي ٠ لم تكن للبنان فحسب ، بل كنت للشرق العربي كله يا فقيده ٠ ولهذا بكتك الاقطار العربية جمعاء ، لانها كانت جميعها تستقي من ينبوعك الصافي العذب ، المتدفق علما وأدبا ومعرفة ٠

عرفك لبنان شيخ أدبائه ، وعرفك العالم العربي نابغة من نوابغ نقاده ، وعرفك الجيل الصاعد في جميع الاقطار العربية معلما ومرشدا ، وعرفك تلامذتك المنتشرون تحت كل كوكب جيلا يبتسم للرياح ولايبالي ، وجبارا يهزأ بعاديات الليالي ٠

نم وحسبنا منك ما أذكيت من شعلة لغير خمور ، تطفأ الانجم السواطع والانوار منها تظل ملء الوجود ، نم وحسب الشرق العربي منك ما غذيت من نهضة لغير

ركود ، وما شيدت من منائر للاخاء والتوحيد ، ان صوتك سيبقى جامع الشمل شائع الترديد .

نم هنيئا نومتك الاخيرة في « عين كفاع » وأصخ الى أحاديث مجلس القرية ، فمن مثلك يا أبا محمد يصيخ الى شكاوى الناس ؟ ومن مثلك يحارب بالعنف والسخرية استغلال رجال الدين للسذاجة والطيبة عند البسطاء ؟ ومن مثلك ينتقد اهمال اللبنانيين لعظماء تاريخهم ؟ أما انتصرت بالامس للارملة « مارينا » من ظلم رجال الدين ؟ أما حثثت لتكريم أبي النضال الشدياق ؟ ولعل من قصروا في تكريمه ، لا يقصرون في تكريمك أنت ميتا وان قصروا في تكريمك حيا .

نم هنيئا بما تركت من آثار فريدة أيها العبقري الفريد . نم هنيئا وأصخ الى أحاديث القرية ، حيث لا رجعية ولا اقطاعية . شعب مؤمن بحقه في الحياة ، مؤمن بالاخلاق الفاضلة والمثل العليا ، مؤمن بالديموقراطية الصحيحة الصادقة ، المحسن فيه يكافأ على احسانه ، والمسيء يحاسب على اساءته ، وأنت أنت السيد الحكم .

نم هنيئا في جزيرتك البرية — كما لقيتها — وانظر الى الاودية التي تطوقها ، والى العرائس كالعرائس تجلل قلالها ، والى هياكلها الجاثمة فيا لها من ممناظر بديعة رائعة كم أحببتها وكم تغنيت بها ! واصغ الى أهازيج الفتيات في الليالي المقمرة ، وتغريد الشحارير وحفيف أغصان السنديان ، ورجع صدى الاصوات في المغاور والكهوف ، فكم كان يلذ لك سماع تلك الاهازيج ورجع ذلك الصدى .

لقد أقمنا يوبيلك الفضي منذ سنوات عديدة ونلت فيه الاستحقاق اللبناني على خدماتك الجلى ، وحالت الظروف دون اقامة يوبيلك الذهبي ، يا من كنت عطاء! خيرا نيرا ما أمحل ولا أقعدته شيخوخة .

ولست أرثيك في هذه العبارات . فمن ذا يستطيع أن يرثي الشمس ساعة الكسوف ، أو القمر ساعة الخسوف ؟ فلمن يقال انك نابغة ولمن يقال انك عبقري ، بعدما تغلغلت أفكارك في طوايا الصدور ، وترنمت بك الالسن في المعمور ؟ فكنت بسمة عذبة على كل ثغر ، وحديثا حلوا على كل لسان . وأنى لي ببيانك لارثيك غير مقلد في البكاء والنحيب ، أيها النغم الغافي في الوتر الطروب .

بأي تآليفك لا تذكر ؟ وبأيها اذا ذكرت لاتشكر ؟ أليست كلها غنية عن الوصف ؟ من « زوابعك » و « أحاديث قريتك » و « محكك » و « أشباح رموزك » و « صقرك اللبناني » و « في مختبرك » و « جبابرتك وأقزامك » الى « جدودك وقدمائك » و « دمقسك وارجوانك » و « سبلك ومناهجك » الى الاثنين وخمسين مؤلفا من أعمال يديك ، فأية عين لا تذرف الدمع حزنا عليك ؟

اني لاذكرك وأنت تلقي علينا الدرس فنصطاد معانيه بحبائل الاصغاء ، على مقاعد الجامعة الوطنية في عاليه ، فنؤخذ بفخامة الالقاء ، وحسن التفهيم وبراعة التعبير . وبعد التدريس لتسهر الليالي في التصحيح والتأليف ، فنرى اذ ذاك ان أستاذنا عظيم ، ونرى الان كيف يكون العظيم عظيما في البداية كما يكون في النهاية ، وكيف تظهر في الشبل جميع مزايا الاسد ، وكيف ينور الله بعض الادمغة بشعاع يتجلى على جوانب المهد ويصحبها الى اللحد .

لقد اتخذت من الجامعة الوطنية في عاليه طيلة وجودك فيها ، حقلا لبذر بذور الوطنية الصحيحة ، بذور الاصلاح ، بذور التآخي ، بذور المحبة . لم تكن فيها مديرا ومدرسا فحسب ، بل كنت حامل رسالة وطنية عربية ، وما أشرفها من رسالة !. حاربت التعصب الديني قولا وعملا ، فأسميت ابنك « محمدا » فقامت قيامة الناس عليك ، فريق يستهجن ويقبح ويكفر ، وفريق يستنكر ويوالي وينتصر . وكان أول من قدر لك هذا العمل ، فيلسوف الفريكة المرحوم الريحاني ،فكتب اليك مستحسنا عملك ، والى القارىء نص الكتاب اليك :

« أحسنت يا مارون أحسنت ، وخير الاباء أنت . وحبذا في المسلمين وفي الدروز من يقتدون بك ، فيسمون أبناؤهم بأسماء آبائنا القديسين ، ونسمي أبناءنا بأسماء أبنائهم الاولياء ، فينشأ في هذه البلاد جيل جديد من الاخوان — الاخوان الحقيقيين الذين لا يعرفون من أسمائهم أنهم لاحمد أو للمسيح ، بل لا يعرفون خارج المعابد أنهم مسيحيون أو مسلمون » .

وفي قصيدتك بابنك « محمد » أفصمت عن ايمانك الصادق بعروبتك ، ليتمثل بها ابنك ، ولينشأ كما نشأت ، معتزا بها كما اعتززت ، مكافحا في سبيلها كما كافحت ، عاملا لرفع شأنها ، كما عملت ، ومن أبياتها :

« عشت يا ابني عشت يا خير صبي
ولدته أمه في رجب »

. . . .

« فاذا ما مت يا ابني غد
فاتبع خطوي تغز بالادب »

« وعلى لحدي لا تندب وقل
آية تزرى بأغلى الخطب »
« عاش حرا عربيا صادقا
وطواه اللحد حرا عربي »

قارئي الكريم ٠

ان فقيدنا المسيحي الماروني اسما ، اللاطائفي معتقدا ، أعجب بالنبي العربي العظيم « محمد » فأوحى اليه اعجابه بقصيدته الرائعة البليغة « النبي محمد » التي نشرتها الصحف في حينها عام ١٩٣٤ وتناقلتها مجلات شتى ، منها مجلة « الرضوان » التي تصدر في الهند ٠ وأذاعتها على حدة مجلة « الغرفان » في صيدا ٠ ثم بعد أن أذيع أمرها جاءه وفد من كبار أئمة المسلمين وشيوخهم يحملون اليه عباءة السيد السنوسي هدية منه اليه ، فاحتفظ بها كأثمن أثر تذكاري عنده ٠

واذا نظرنا الى هذه القصيدة ، أو قل الى هذه الملحمة الرائعة ، لوجدنا فيها سمو الخيال ، ورفاهة الحسن ، والشاعر الكبير هو من يجمع الى قوة الخيال قوة الشعور ٠ تضم ١٠٩ أبيات في وصف الرسول الكريم ، ووقعة « أحد » ، وأم عمارة ، وأبي دجانة ، وفتح مكة ، وروح الاسلام ٠ وما كان استطاع أن ينظم هكذا قصيدة لو لم يكن مؤمنا بأن الدين الحقيقي هو الذي لا يكون أساس تمييز ناس عن ناس ٠

وقال قصائد غيرها عديدات ، كان فيها يحارب الطائفية ، وما أبدع قوله وأروعه في الدعوة الى التآلف ، في قصيدته « أين الاعارب ؟ » منها :

« كانت الاديان للتفريق ما
بين الشعوب بأمة تتبرم »
« أوحى الاله بها لكي يتآلفوا
فتفرقوا وتقلنسوا وتصمموا »
« أهلا بيوم ليس يسألنا به
عن ديننا أحد فلا نتقسم »
« ويصير مذهبنا الجميع عروبة
تيدا بآي الاتحاد وتختم »

نظرته الى رجال الدين

كان يريد من رجال الدين أن يكونوا قادة للشعب في نشر الفضائل ٠ كان يريدهم ان يكونوا متسامحين ، لان في التسامح حكمة ورحمة ، تضحية ورجولة ، سموا وعظمة ، كان يريدهم أن يكونوا معلمين العلم الممجد للدين الذي يرفع النفس الى المثل العليا ، ولا يتعصب لجنسية غير جنسية الانسان ٠ ولهذا حارب بعنف وسخرية استغلالهم للسذاجة والطيبة عند البسطاء ، وانتصر للارملة « مارينا » من ظلمهم في قصة « الارملة مارينا » فكانت له اليد البيضاء ٠

رسالته القومية :

ان رسالته القومية رسالة قومية صادقة وأيم الحق ، حاملة لواء العروبة حيث حلت ركابها ٠ وهذه الرسالة واضحة الخطوط جلية الالوان ، في كل قصيدة من قصائد ديوانه « زوابع » ٠ دعا في هذه القصائد البليغة الى الوثام غير هياب ولا وجل ، واستثار الهمم لمحاربة الطغيان التركي وويلاته ، والانتداب الفرنسي ونكباته ، ودافع بكل ما أوتي من قوة في قصائده ومقالاته وأحاديثه وخطبه ، مزينا النضال في عيون أبناء الامة ، لينهضوا الى النضال ، عاصفا بالظلم عصفا ، ومقارعا الطغيان مقارعة ، فكان الرجل الذي تنشده البلاد منذ أجيال ٠

مرت البلاد في نكبات تبعتها نكبات ، ومحن تلتها محن ، حكم تركي بغيض يخلفه انتداب فرنسي له البغض أشد ، وفي الحالتين لم يقف مكتوف اليدين ٠ دعا بني وطنه ليلتفوا غصونا حول الشدائد ، معرضا صدره لسهام العدو الحاقد ، مقتنعا بأن الليل مهما اشتد حلوكه لسوف ينجلي عن صبح وضاح الجبين ٠ انه مثل الانتفاضة القومية الاولى في شعره أصدق تمثيل ، وكان خير معبر عن قيم هذه الحقبة ومفاهيمها ٠

وعندما تلظت نار الطائفية في لبنان ، واختلفت مذاهب الناس صرخ صرخته المدوية في قصيدته « بابل الاديان » مستنهضا الهمم للقضاء عليها ، داعيا الى الاخاء والتسامح ، والتساهل ، ونبذ التعصب الديني ، منها :

« يا بابل الاديان يا وطني
يا مسرح الاحقاد والفتن »
« كل يوتي شطر مسجده
وجها ويدبر مسجد الوطن »
« والطائفية فيه طائفة
كالبوم نعابا على الدمن »
« حذرا بني أمي فقادتكم
جدوا بكم للمركب الخشن »
« الطائفية فتنة فذروا
أعوانها في السر والعلن »
« يا ويحها كم فرقت أمما
فاقتادها طاغ بلا رسن »
« ألان هذا مسلم وأنا
متنصر صرنا دوي احسن »
« هل علم القرآن موجدة
أو بشر الانجيل بالضغن »

« ما الدين الا عـارض وأبي
اذ شـاء هذا الثـوب ألبسني »
« يا صاحبي هب اننـا فـرق
في عسـكر والثـوب ميزني »
« فعـلام ننكر بعضنا حنقا ؟
أجهلت أنك ان أهـن تهـن »
« من يشتري البغضـاء غاليـة
والحب معـروض بـلا ثمـن »
« ويسوع لا يحتـاج نصرتنا
ومحمـد عني وعنك غني »
« جاءا لبث النـور مرحمـة
فالآم نألف وحشـة الدجن »
« ان كانـت الاديان علتنـا
يا ليتنا مـن عابدي الوثن »

• • •

ولما رفع السفاح التركي على أعواد المشانق الشهداء الابرار ، غلى صدره كالمرجل وقال في ذكراهم قصيدته العصماء « ذكرى الشهداء » فكانت أبياتها أكاليل بديعة يضفرها لرؤوسهم ، وصرخات مدويات لاستثارة الحقد في صدور الاحفاد والابناء ، للتخلص من الحكم التركي ، وللمطالبة بالحرية والاستقلال ، منها :

« دول الخنا مهما تعاظم شأنها
سيدك جبـار السماء بناءها »
« فاذا رأيت حكومـة ظلامـة
فابشر ستطوي النائبات لواءها »
« يا أيها العربي لا تقنط فكم
دول غزتك وقد شهدت جلاءها »
« حرية الاوطان يدركها الذي
بالنفس ضحى واستمات فداءها »
« أما الذين استشهدوا فحياتهم
ذكرى تردد أرضـا أصداءها »
« ان المشانق للشعوب منابر
والحق ينطق دائما شهداءها »

• • •

واذا نظرنا الى النزعة الوطنية في الشعر العربي ، لرأينا ديوانه « زوابع » وقفا عليها .

والنزعة الوطنية في الشعر العربي تدعو الى محاربة الاستعمار لينال كل قطر عربي استقلاله ، وهذا ما يظهر واضحا جليا في شتى قصائده . ولنسمع في قصيدتـه الرائعة « فلسطين » الى الوطنية الصادقة الصارخة في وجه الاستعمار البغيض :

« يا فلسطين اصبري ولا تجزعي
لك أجـر الصابر المـرتقب »
« حزت دون الارض مجدا خالدا
واليـك الله السرى بالنبـي »

• • •

« مضر غضبتهـا مشهورة مـن
أبنوها نحـن ان لم نغضب ؟ »
« يا صـلاح الدين قم وانظر الى
شعبك المضني طريـد الكرب »
« قم مـن القبر فقد عودتنـا
يا صـلاح الـدين رد الاجنبي »

• • •

الى آخر هذه القصيدة التي يصور فيها الطغيان ويدعو الى محاربته ، وقد عارضها الكثير من شعراء البلاد العربية ومنهم أبو ريشة ، في عيد الجلاء .

كان مؤمنا بالوطن العربي ايمانه بالله جل جلاله . والوطن عنده كالدين يحتاج الى مؤمنين . والمؤمن المؤمن في محيطه كالشهاب الثاقب في الليلة الينيمة . ان كوكبا واحدا يدحر حلكة الليل ، وكم في الوطن من ظلمات لابد من تمزيقها .

وكما ينمو الجسم في رأيه ، بما يتقد فيه مـن حرارة متفاعلة ، كذلك تنمو الاوطان كلما تعاظمت حرارة الايمان بها ، ونقطة دم تراق من مؤمن بوطنه ، توطد بنيان ذلك الوطن فتصيره أممنع من الباطون المسلح ، فالحق للايمان لا للقوة ... والوطن العربي محتاج الى مؤمنين ... الى مجاهدين .

وفي رأيه ، يكون الايمان بالوطن في التعليم . في المسجد والهيكل يناجي المؤمن ربه ، وفي المدرسة يناجي وطنه ، فالمدارس هي هياكل الوطن .

الاستقلال أمانة بين أيدي أبناء الامة ، ولا يحافظ عليه الا بخلق مؤمنين به ، وهؤلاء لا توجدهم الا مدارس مخلصة ، مدارس مؤمنة بوطنها ، ومعلمون مؤمنون بأنهم معلمون .

مذهبه في الحياة :

وأما مذهبه في الحياة فكان العمل . العمل الدائم قال : مذهب غيري القناعة غنى ، أما أنا فشعاري الطمع في هذه الحياة ، وأرى القناعة من طباع البهائم . مذهبي في الحياة أن أعمل دائما ، وهمتي أن أسبق من قبلي ، وأن أعجز من بعدي ، الى أن قال :

« أكره القمر ولا أفرح لولادته لانه بشير زوال ، وأنا لا أريد أن أزول قريبا ، وأحب الشمس لانها رمز الديمومة » .

هكذا كان مذهبه في الحياة ، أن يعمل دوما بلا انقطاع مستهزئا بالموت ٠٠ قال : « من لي بمن يضحك ويقهقه يوم أتوارى لتقر بذلك عيني ، وتطيب نفسي ، كممثل هزلي يسدل عليه الستار بين تصفيف النظارة وعربدتهم الضاحكة ، وهل الحياة غير رواية هزلية ؟ » وان كان لا بد من عمر طويل فأرضى أن أعيش ما ظللت قادرا على العمل ، فالعمر الذي لا يملأه العمل هو عمر أجوف كالقصبة ٠ ولا أشغل نفسي باصلاح ما بعد عني الا بعد أن أصلح ما قرب مني ، وابدأ بنفسي ٠ »

وهكذا قضى حياته الحافلة عاملا مجدا ناشدا الاصلاح لبني وطنه ، محاربا الظلم والاستبداد ، والتعصب الديني الذميم ٠

حياته في سطور :

١ ـ ولد في « عين كفاع » القرية المارونية الجميلة من قرى لبنان الجميل ، في التاسع من شهر شباط عام ألف وثمانمئة وستة وثمانين ، في الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين ٠

٢ ـ أبواه مارونيان متدينان هما : حنا الخوري عبود وابنة عمه كاترينا بنت الخوري موسى عبود ٠

٣ ـ في عامه الخامس أرسله جده خوري القرية الى مدرسة القرية التي سماها فيما بعد « مدرسة تحت الى مدرسة حولها سنديانات ومنها الى مدرسة في غابة من هذا الشجر المبارك الى مدرسة مار يوحنا في « كفرحي » ومنها الى مدرسة الحكمة في بيروت ٠

٤ ـ تخرج من مدرسة الحكمة في حزيران عام ١٩٠٦ ، وبعد تخرجه اشتغل في الصحافة ، وأول صحيفة حرر فيها جريدة « الروضة » وتسلم رئاسة تحريرها في تشرين اول من ذلك العام ٠

٥ ـ بدأ في اعطاء الدروس في مدرستي اليسوعية والفرية في الوقت الذي تسلم فيه رئاسة تحرير « الروضة » ٠ وهكذا بدأ بممارسة مهنتي التعليم والصحافة معا ٠

٦ ـ بعد تحرير « الروضة » انتقل الى العمل في جريدة « النصير » ٠ وعام ١٩٠٨ غطس في الصحافة ، بدأ في تهشيم الجميع كما يفعل كل صحافي يحب الظهور ، فكانت النتيجة طرده من المدرسة اليسوعية على أثر مقال نشره في جريدة النصير مطالبا بانشاء مجلس ملي للمطران شبلي ٠ وبعد طرده ذهب الى « جبيل » للعمل في جريدة « الحكمة » ٠ وبعد ذلك استدعاه عام ١٩٠٩ المرحوم حرفوش الى « اسطنبول » لتحرير جريدة « كلمة الحق » فذهب اليها وبقي فيها خمس سنوات ٠

٧ ـ أمضى في التعليم أربعة وثلاثين عاما كان طوالها مديرا واستاذا للادب العربي في « الجامعة الوطنية » في عاليه ٠

٨ ـ قدرته قدره الحكومات المختلفة فمنحته ستة عشر وساما تكريما لنبوغه ، وتقديرا لجهوده ، منها وسام الحكومة اللبنانية ، « وسام المعارف الذهبي من الدرجة الاولى » وذلك في حفلة يوبيله الفضي عام ١٩٤٨ ، وقد علقه على صدره الاستاذ فؤاد صوايا محافظ جبل لبنان آنذاك مندوبا عن فخامة رئيس الجمهورية ٠ وهذا الوسام لايمنح الا لكبار الادباء ، وقد جاء في الاسباب التي تضمنها المرسوم أنه « مرب فاضل ، وقف حياته على تثقيف النشء اللبناني طوال خمس وعشرين سنة ، باذلا جهودا طيبة ،محببا اللغة العربية الى نفوس الطلاب ، موجها اياهم توجيها وطنيا صميما ٠ أديب نقاد نشر دراسات قيمة في الادب العربي قديمه وحديثه ٠ وتجسدت في قصصه حياة القرية ، فقدم للوطن خدمات جلى » ٠

وهذه الاسباب التي تضمنها المرسوم خير دليل على المكانة العليا التي يحتلها نابغة لبنان ٠

٩ ـ وفي حفلة يوبيله الفضي منحته مدينة «عاليه» لقب « مواطن شرف » وقد تلا القرار رقم « ٢٢ » رئيس بلديتها القائمقام ضاهر المعوشي آنذاك ، وهذا نص القرار القاضي بذلك :

« بما أن الاستاذ مارون عبود كان ولم يزل يساهم منذ خمس وعشرين سنة متوالية برفع لواء الثقافة والادب في مدينة عاليه بوصفه مديرا للدروس في الجامعة الوطنية ، منصرفا بكليته لتربية النشء الجديد باذلا قصارى جهده لانماء الشعور الوطني ، فان المجلس البلدي المعبر عن رغبة أهالي « عاليه » يقرر اعتبار الاستاذ مارون عبود مواطن شرف للمدينة تقديرا لخدماته في حقلي الثقافة والوطنية »

تآليفه :

أغنى المكتبة العربية باثنين وخمسين مؤلفا منها في النقد : على المحك ، مجددون ومجترون ، جدد وقدماء ، ومنها في الدراسات الادبية : الرؤوس ، زوبعة الدهور ، رأي في المعري ، صقر لبنان ، أمين الريحاني ٠ ومنها في القصة : فارس آغا ، العجول المسمنة ، وجوه وحكايات ٠ ومنها في النقد السياسي : كتاب الشعب ، سبل ومناهج ، حبر على ورق ٠ ومنها في الشعر : « زوابع » وهو ديوان شعر كبير تظهر فيه رسالته الوطنية ٠

رحم الله أبا محمد ، عبقري لبنان ، وأستاذ الجيل ، وحامل لواء العروبة ٠ وكفاه أن تاريخه تدفق مجدا ٠

صافيتا : عزة بشور



ـ « اني اعجب كيف صحة محسن الان ؟ وكم قد تغير منذ ان ذهب الى لندن لاكمال دراسته ؟ حين افكر فيه لا زلت أتخيله شابا في السابعة عشرة من عمره ولو أنه كان قد غادر بغداد قبل سبع سنين • كم ملعقة من السكر الان يضع في كوبه ؟ الا زال ذلك « الولـد » السيء الطبع الذي لا اتمكن من تعنيفه ؟ »

ثم نظرت الام بعد ان قالت هذا الى صورة معلقة في الغرفة وكان ضوء الغرفة ينعكس على عينيها الحنونتين المغرورقتين بالدموع • والتفت الاب الى ابنه الاصغر وقال : هل أجبت على رسالة محسن ؟ ماذا قلت له ؟

فقال الولد فرحا :

لقد أخبرته باننا سنبني جانبا آخر من الدار لاستقباله وسوف نشتري رفوفا أخرى لكتبه كما اخبرته بانك سوف لن تسافر ووالدتي الى الحج لانك تريد ان تكون هنا لاستقباله •

وفي غرفة صغيرة في لندن كان علي يقرأ رسالة أخيه • ثم قال في نفسه :

ـ « ما هو سر ذلك الدافع الذي يجعل الوالدين يضحيان بكل شيء لاطفالهم في الوقت الذي لا يمكن ان يتأكدا بان الابن سوف يحسن اليهما • » ثم قال في نفسه مرة أخرى :

« ما هو السر ؟ ما سر هذه القوة الدافعة التي تمنع وحوش الغاب من افتراس صغارها ؟ وما سر هذه القوة الدافعة التي تجعل من اضعف الحيوان حيوانا شجاعا يركب الخطر كي يجلب الطعام الى صغاره ؟ »

ثم اشعل سيكارته واستمر في تفكيره :

« ان الطفل لايمكن ان يرجع لوالديه كل احسانهما ابدا • يا ترى هل كانت قصة الغراب التي كثيرا ما قالها لي والدي وانا طفل قصة واقعية ؟ كان الطفل يسير مع والده في حديقة الدار ورأى غرابا وبدأ يسأل مرة بعد أخرى ما هذا ؟ والوالد يجيب بصبر عميق : « انه غراب يا ولدي • غراب يا ابني • انه غراب » ولما شب الولد وكبر الاب تكررت القصة وسأل الرجل العجوز ابنـه وقال له مرة ومرة : ما هذا ؟

ونظره الشاب مغضبا وقال له بحدة : هل انت أطرش ؟ لقد قلت لك انه غراب ! حقا انه ليس بفيل ! ما احمقك ايها العجوز ! »

ان محسن الآن قد شب عن الطوق وان عمره الآن ٢٤ سنة وليس هو الشاب الذي تذكره امه في السابعة عشر من عمره • كان محسن يريد ان يتزوج فأخذ قلمه وبدأ جواب رسالته الى عائلته كما يلي :

« والدي العزيز • لقد اخبرني أخي خالد بانك سوف تؤخر ذهابك الى الحج من أجلي • الا يكن من الاحسن ان تذهب لزيارة بيت الله الذي اعطاك الثروة والبنين والذي هو يملكنا كلنا • لا شك انى سوف أراك بعد عودتك من مكة • ان لي من الاخوة والاخوان مايكفي لاثارة الضوضاء حولي حينما اعود الى بغداد •

ان لدي شيئا اريد ان اخبرك به • أريد ان اجلب معي فتاة أخرى لازيد في عدد العائلة • انها ليست اوربية انها من دم مختلط من جنوب امريكا • » واضاف محسن في ملاحظته لاخيه الاصغر يخبره بانه لم يستلم بعـد

مبلغ الخمسين دينارا وانه مشتاق لان يرى الظرف الابيض الصغير مع عنوان البنك على ظهره .

وبرجوع البريد وصلته الحوالة ووصلته رسالة من أخيه تقول :

« ان ابي مغضب جدا . وانه يهدد بايقاف ارسال النقود اليك . ان امي لم تغادر فراشها ولا زالت تبكي وان اختنا تقول بانك غير شاكر ما صنعته لك . انها تسألك اذا كنت قد نسيت انها كانت تنهض في ايام الشتاء الباردة مبكرة لتعد فطورك ! »

ورمى محسن الرسالة من يده وغرق في افكاره :

« ماذا سوف يقولون لو علموا اني قد تزوجتها منذ سنة وانها حبلى . ايظنون اني سوف أعدل عنها واننا لا زلنا في الدور الخطبة ؟ ماذا يريدون مني على كل حال ؟ لماذا يتدخلون في شؤون حياتي الخاصة ؟ ان أمي لا زالت تظن انني لا زلت طفلا غرا ولا زالت توصي أخي بان يكتب الي بأن البس الملابس الصوفية لادفأ ولا زالت تقلق عمن يخيط ازرار قمصاني اذا سقطت وعمن يغسل مناديلي وعمن يصنع الشاي الذي اشربه !

وابي ؟! لماذا يعارض في زواجي لامرأة أجنبية ؟ ألأنه يظن ان لها تأثيرا سيئا على بنات العائلة لطريقة عيشها المغايرة لطريقتنا ؟ ام لانها امرأة اجنبية من قطر أجنبي وذات لون آخر ؟ ما السبب انهم لا يريدونها ؟

هل يريدون ان اتزوج فاطمة بنت جارنا ؟ ما اكثر ما كنا نختصم حينما كنا اطفالا . حقا اني لن اكون مثل الشاب الذي سخر من والده العجوز في قصة الغراب اذا ما تزوجت تلك الفتاة . كل ما فعلته اني تزوجتها دون استشارتهم .

هل ان كل تحضيراتهم هي لاستقبال الشاب الصغير الذي تركهم وليست لاستقبال الرجل الناضج الذي أصبحته ؟ »

واستمر في خواطره وهو يلعب بظرف الرسالة يحركه يمنة ويسرة وقد مسكه من احدى زواياه :

« انني سوف ارسل زوجتي الى اهلها لتلد هناك وسوف اذهب الى بلدي لابحث عن عمل بعد ان انتهي من دراستي ثم ارسل خلف الزوجة والطفل معا دع والدي يصنعان ما يحلو لهما ولو أني لا أريد ان اكون قاسيا معهما واني لا أحب ان انس قصة الغراب ايضا .

ذهبت زوجة محسن الى البرازيل وانتظرته لينتهي من امتحانه الاخير وليجد عملا له ولكي تنتظر ولادتها للطفل .

واقترب يوم وضعها وماتت الزوجة في المستشفى وهي تضع .

قال محسن لنفسه وهو يستعرض خواطره :

« لقد ماتت لانها كانت وحيدة ومكسورة الخاطر حين رفضها والداي . ليس هناك الان من انسان يحبني قط ! ان والدي يحبان « الولد » الذي كان انا وقد مات منذ زمن بعيد لانني قد كبرت عنه . انهما ليسا في حاجة الي الآن .

ولم يظهر لي أحد الحب او العطف ما عداها . انني قد احببتها باخلاص . ما اكثر المرات التي خاصمتها فيها قبل الزواج الا انها كانت ترجع لي لانها تعلم بانني احببتها . انها ماتت ولن ترجع ابدا . اني لاكره قسوة والدي وكل من هو قاس . انني اشعر باني اكره العالم أجمع بأرضه ورجاله واطفاله ونسائه . ما اشد حبي للانتقام ! »

وتناول صورة ينظر فيها اخذت له معها في مصيف انكليزي وقال يخاطب نفسه :

ـ « آه ! نعم ! انه من الممكن ان ينتقم الانسان لنفسه فلتشيد عائلتي قسما آخر من الدار فانني سوف لن اذهب الى هناك ! »

ان والديه لم يزورا مكة في السنوات الثلاث التالية بعد ان انقطع خبر محسن واختفى . لقد كان يحارب في مكان ما في الجزائر . ان والديه ارادا ان يرحبان به

حين يرجع الى داره ووطنه ولكنه لم يرجع • ان محسن كان يحارب بيأس • فقد انتقم ايضا لفتاته من والديه حيث تركهما يقاسيان خسارة الابن • وانتقم للاطفال الجزائريين والنساء الجزائريات من الضباط الفرنسيين• انه لم يقتل ولكنه جرح وفقد ذراعه وكان عليه ان يترك ساحة القتال •

ولم يكتب محسن الى أهله يخبرهم بأنه سوف يأتي كيما يعدوا غرفته وينظفوها • فسافر من الجزائر الى مصر فبيروت ثم الى بغداد •

وفي أمسية من الامسيات وقف عند غروب الشمس كغريب على باب داره • كانت باب الدار مفتوحة وسمع امرأة تبكي •

– نعم ! لقد كانت امه – فقالت الاخت الكبرى بصوت حزين :

– الى متى سوف تستمرين في بكائك ؟ انه سوف يأتي في يوم ما ! فكلي شيئا معنا • اني اعرف محسنا انني متأكدة انه سوف يأتينا !

وكانت فاطمة – بنت الجيران – هناك ايضا وكانت قد كبرت وزاد جمالها • واجتاز محسن باب الدارمسرعا الى الغرفةوقال : (لقد عدت لاراك ياأمي لاراكم جميعا ! هل تأخرت كثيرا عن موعد العشاء يا اماه ؟ »

وقامت الام بلهفة وشوق ضمته الى صدرهاوضغطته اليها بشدة ووضع هو حول عنقها ذراعا واحدة وبكى •

وسمع والده الضوضاء الشديدة التي اثرنها الفتيات السعيدات في الغرفة المجاورة فنادى منزعجا :

– من هو ؟ ما هذا ؟

ولما لم يجبه احد صاح بصوت مغضب عال :

– لقد قلت ما هذا ؟

فأجابه محسن مبتسما ولا زالت آثار الدموع في عينيه •

– انه غراب يا مولاي !

ونظرته فاطمة وابتسمت له فابتسم محسن لها لانه كان قد أخبرها بالقصة في حديقة الدار حين كانا طفلين •

فقال الاب مندهشا دهشة لم ير ابنه مدة عشر سنوات :

– أهلا بك يا ولدي وعليك السلام !

قال ذلك بصوت مختنق مبحوح بالعاطفة والعبرة ثم سكت وسكت كل من في الغرفة المجاورة • كلهم كانوا يعلمون ان الرجل العجوز كان يبكي الا انه لم يجروء احد ان يقول هذا •

الفهد الوقور

شعر : سحر كيلاني

كثيث الحاجبين يدير رأسي ... ففيه لوبة الفهد الوقور
جميل السمت ، أخنس ، يا للون ... من الظلماء مرتفق بنور
واما حدقت بي مقلتاه ، ... لقد رعشت بأوصالي شروري
أجن الليل مهتبلا جنوني ... فأسلمني الى وهج الحرور
مصابيح المنايا في أناتي ، ... وقوتي قصعة الجمر المهير
يشق المنصل الظمآن قلبي ... علانية ويوغل في الغرور
فيا للقرمز الفوار نسغا ... رشيحا في متاهات الصدور
لكم قاومت ظلامي بمكر ... ليجبهني بخذلان شعوري
توسوس لي ثناياه بلثم ، ... وما يخشى مفاتحة ضميري
الهي اللؤلؤ اللماح حتف ... يجاذبني بأسلاك الحرير
طلاسمه تمجد ذكرياتي ... بمرفض من الشرر الفخور
أتأبى دميتي أصباغ عرس ... وترضاها من الدهن المرير ؟
أمير العمر دعني من عماد ... لئن رفعت فيا خزي المجير
أكان الطمر من ثوب الغواني ... اذا يخطرن في بهو القصور ؟
لقد جئت الكبائر مستخفا ... بأقنوم من العيش النضير
تخذت الوهم نبراسا فأودى ... بصاحبه الى مين وزور
وما كانت شهاوى العز ترضى ... بأفاق ، بعراب حقير
كعصفور أذيل الدفء منه ... فمأواه الى صقع طرير
فأين الشهد تعصمه الخوابي ، ... واين العطر في سطح البخور ؟
أصارعه ، ويصرعني ، فأمضي ... ولا أقوى على طرف جسور
لعمري انه خطر مهيب ، ... وباتت لذتي بهوى خطير
اذا الشوق المعربد في رؤاه ... تملقني ، فقد رهزت قدوري
ولولا الأيد ما حنت عقاب ... بكلكلها الى خشن الصخور

استامبول ٢١ تموز ١٩٦٢
سحر كيلاني

موقف الفنان المعاصر

فنون

بقلم : فيصل عمران القاضي

ان دعوة (الفن للفن) مرتبطة بظروفها وهي دعوة للهروب من المجتمع الذي يعيش فيه الفنان وسبق لنا ان هاجمناها (مجلة الفنون ع ٢٠) لكنا لا نأخذ منها هروبها من الواقع بل نأخذ منها عنايتها بالتعبير فيظهر العمل الادبي متقنا ليس فيه اي أثر من آثار السرعة ... نحن نفهم الفن على انه نتيجة تجربة ، فلتختمر في ذهن الرسام مادة رسمه ويكون شعر الشاعر نتيجة معاناة ولا نحضر تعبيرنا في نطاق ضيق من الذاتية بل نحسن لاثرنا الفني .

ونحن مرتبطون بالجمهور سواء رضينا أم كرهنا ونحن لا نلوم الجمهور ان عرض عن أدب ذاتي منحل يعبر عن أفكار يضيع فيها جهد الانسان كانسان ويضيع بل تمسخ قيم الحضارة بفعل واقع طبقي مضطرب . نحن نحس بأزمة النظام الامبريالي والشركات الاحتكارية والانسان حين ينظر لوضع العلم وتقدمه يراه مستخدما في غير صالح الانسانية . فنرى القلق ظاهرا في الخوف من الحرب والفاقة والمرض والحاجة . ان الاديب الذي يتأثر بمجريات مجتمعه يريد أن يكون النور والخير والرفاه للجميع لا أن يقول كما قال لي أديب معروف قبل عدة سنوات أيام الارهاب السعيدي (أتريدني كبش الفداء !)

لا لن تكون يا سيدي كبش الفداء ولا ندعك في فوهة المدفع لاننا قلنا لك أننا نوصلك الى هذا الباب الذي هو قضية (معيشة الفنان) والحرية ، الحرية أفسرها في غير ما يفسرها الوجوديون والرومانسيون . الحرية أن أقول وأن أعمل فيما يفيد البشرية . وهذه الغيرية ليست تنكر الوجودي كعراقي وكعربي وكانسان وأنا لا أنظر الى هذه القضية من وجهة سياسية فأنا أنظر الى هوميروس نظرتي الى ايليوت وانظر الى طاغور نظرتي الى جيخونوف . الانسانية ليس من المفروض أن أفهمها فهما سياسيا . فأزمة الانسان المعاصر تجدها في كل مكان دع عنك الاسماء فأنا امجها ...

ان موقف الفنان المعاصر موقف جماعي كموقف الفنان القديم الملتزم حين كان الفنان يقول (نحن) ومنذ أن صار الفنان يقول (أنا) صار البون الشاسع بين الفن والحياة . (فالاديب العربي متصل ببيئته ومتصل بحياته) على حد تعبير الدكتور طه حسين في كتابه (ألوان) وراجع له (خصام ونقد) .

لقد أخطأ الدكتور حين عمم فهذا التعبير خارج نطاق تفسيرنا المعاصر يجرنا الى واقعية آلية واسلوب وهذه الاوتوماتية او التحرك الذاتي بعيدان عن الالتزام الذي هو التزام كل ما هو خير . اننا ننسجم مع الظروف واذا سلبنا الارادة الخالقة للانسان في زمانه آمنا بالتفكير الآلي . فالجماهير الشعبية تستطيع ابدال الظروف والانسان يستطيع التأثير في الواقع بنظرية ثورية تؤثر في الواقع الموضوعي نفسه لان القضية ليست قضية مشاعر قدر ما هي قضية ظروف .

صحيح ان الادب العربي كان أدبا واقعيا كما نفهم الواقعية على أنها تأثر بالبيئة وهذا ليس من الالتزام في شيء فان أدبنا كان متصلا بتلك الحياة الرسمية التي كان يعيشها الملوك والوزراء . أما الشعب فلم يفطن له الا القليلون ومن هنا نعرف الفرق بين المفهوم التقليدي للواقعية كمطلق التأثر بالواقع وبين الالتزام .

فالالتزام ليس مذهبا بل هو دعوة لقضايا فكرية

معينة وليدة العصر الحاضر ... فأبو نؤاس التزم قضايا طبقة مترفة كثيرة المال وصور ذلك العصر الذي امتاز بالتباين الطبقي وفي هذا نخالف الدكتور طه . فالاديب العربي ملتزم لقضايا الحكام اما ان يؤيدها أو يشجعها وهذا ليس الالتزام المعاصر ولكن توجد لمعات في أدبنا امتازت بنضوج الوعي والصراحة والابداعية في العمل . الالتزام بأبسط أشكاله التزام أحوال شعوب معذبة وطبقات من الشعب متأخرة أو مظلومة لا الطبقات الآثرة الانانية فهل نجد معها القسوة والظلم ونمجد عندها كافة المتناقضات ونلتزم قضاياها ؟ .. أبدا .. لا . ان هناك مراتب صاعدة يلتزم قضاياها الاديب . فالالتزام دعوة يختلف مضمونه كما تختلف ايديولوجية الداعية له فالماركسيون والوجوديون والوطنيون كلهم ملتزمون لكن نوعية الفكرة تختلف ز اننا نأخذ من الالتزام ما يرتبط بواقعنا العربي .

ومتى افترق الفنان عن المجتمع وعن قضاياه اليومية وصار يعيش في عزلة كان هذا السبب الاول في ايجاد الازمة . ان الجليد لن يذوب الا اذا شاركنا هذا الشعب العربي الكبير بقضاياه . والالتزام ليس نظرة سياسية ضيقة اذ له ظروفه المادية والروحية . الالتزام أن نصور موقفنا التقدمي من مجتمعنا وكافة المجتمعات لاننا لا نريد أن نعيش في فننا وحياتنا كما كان يعيش السلف القديم ولا نستعير أجواء غيرنا هذه التي عاشها في بلاده فيصدر أدبنا مثل أدبه مائة بالمائة ؟ لا هذا ولا ذاك لا جمود على السلفية ولا اضاعة لحاضرنا في وجود غيرنا .

لنأخذ اديبا ولننظر الى مواقفه نحو المرأة فان نظر اليها حسبما يشتهي ولم ينظر الا الى مواطن الجمال الجسمي فان نظرته ارستقراطية . فالاديب الملتزم لا يراها سلعة من السلع . والالتزام يصور المتناقضات القائمة في سبيل تخليص الانسان من الاستعمار والاستعباد الطبقي .

ان الفن محجور عليه في ظل العلاقات الرأسمالية الاستعمارية . فممثلو هذا المجتمع الرأسمالي يعملون على ابقاء الفاقة ويقضون على شعوب بأسرها وان الرخاء قد قصر على فئات محدودة وسخرت الثقافة الفنية والعلمية في سبيل الاستغلال (الادب والفن في ضوء الواقعية ترجمة الشوباشي) .

وأديبنا الملتزم لا ينظر الى الطبيعة نظرة الاديب الرومانسي الذي خلقته الآلة في عصر تعب وقلق وخوف ودمار سببه الذعر من ويلات الحروب والفاقة . لقد اتجه الفنان الى الطبيعة حين هرب من المجتمع من عناء الآلة ولكن فناننا المعاصر لا يناجي البلابل ولا يأوي الى صدر أم لا تعرف الرأفة ولا تعرف القسوة ولم يعد الكون منظرا نفرح به كما يفرح الاطفال وانتهى دور الفنان المدلل . لنعش في القرن العشرين . وربما خالف الجمهور رأي فنان . اذ الفنان يسبق الجمهور بأفكاره والافكار العقلية من الصعب علينا أن نتقبلها . نحن نعارض كل فكرة جديدة ونحن ندافع عن الموجود كوجود عن ماضينا وعن القضية كقضية مسلم بها ونحن نسرع بالحكم بعواطفنا قبل أن نحكم بعقولنا وان رأينا فنانا جديدا يفرض علينا رأيا جديدا فنحن نعارضه وربما نضفي عليه أسوأ النعوت !!! هذا هو مفهومنا الجامد لحب البقاء ! وسرعان ما يكون هذا المستقبل وهذا الحاضر ماضيا وعند ذلك ينظر الجيل القديم الى مبدعي الجيل الجديد نظرة فيها بعض التحفظ بل كل التحفظ وينظر الجيل الجديد الى هذه القضية كما نظر الجيل الذي سبقه . مفاهيم تتجدد والجمهور يظل عند فكره السابقة ويسبقه الفنان فعليه أن يكافح في سبيل الدفاع عن أفكاره وبالتدريج نرى الجمهور يؤمن بهذه الافكار فكرة فكرة وجزءاً جزءاً لا أن يفهم القضية كلها ككل ويصير هذا الواقع الجديد واقعا قديما تتعلق به الجماهير كعقيدة ثابتة ونحن في كلامنا هذا لا ننكر بل نعيد قول ما ذكرناه من أن الاديب يتأثر بظروفه (هذا تعريض بمقالة العقيمي في مجلة الآداب كانون أول ١٩٥٧) .

* * *

حتى الابداع الفني لا يتم باسلوب عفوي تلقائي بل يكون للغائية والقصدية فيه دور كبير . وان عملية

الابداع تبدأ بكل حرية عند الشاعر وقد يعترض طريق ظهورها بعض العقبات اللغوية والنفسية والفنية • والشعر هذه الدفقة العاطفية او اللمحة الحسية او الومضة الفكرية هذا الشعر يظهر نتيجة معاناة اما بتأثير معاناة اندفاعية قوية لشعور ملتهب أو يكون للوعي كامل قدرته على ضبط افكار الشاعر وصوره • ان الشاعر لا يجعل مادة شعره أوعاظا ولا أفكارا جامدة جافة وانما كل هذه الاخلاق وما يتبع سلوك الشاعر يهديه في انارة دربه الفني والواقعي وتظهر الفكرة مع العاطفة وعالم الشاعر يكون في تملكه لتجربة نفسية وكل قصيدة لن تكون للآخرين حتى تخرج من حيز اللاات الى لقاء المجتمع الواسع •

وسواء عرف الشاعر صلته بمرتبة اجتماعية او طبقة معينة او لم يعرف فاننا ان القينا الضوء على سلوكه فاننا نرى كل ديناميات هذا السلوك في الابداع الفني • ان الاحساس والافكار رجع فعال لمشاكل الواقع •

فالقصيدة تكون شعوريا ولا شعوريا والمهم انها تتحقق نفسيا فالشاعر يؤثر في شعره ديناميات الواقع المؤثر في نفسيته كفنان وانسان • واذا رجعنا الى التحليل الدينامي لعمل الشعر لارجعنا كل قضايا الشاعر الى التجربة الى النفس المتأثرة بالواقع • فهل كان الشاعر وحده في هذا الصراع النفسي وفي هذا الكفاح العاطفي ؟ فقد كان يعيش اناه داخل المجموع • وهذا الاساس النفسي له صلة بواقع الفنان ومجتمعه ودرجة تطوره •

خذ أدب أي أمة واربطه باقتصاد واجتماع هذه الامة وقد يتبدل الاساس الاجتماعي لادب يظل على طرق عتيقة فيجب ايجاد حل لهذه الازمة وأحيانا ينهار الاساس الاجتماعي ويتحطم بفعل ظروف كثيرة • فما نرى الا أن الافكار والآراء أما ان تتبع هذا الاساس المنهار او تقاومه لتنشىء أساسا جديدا امتن واقوى فلا يرجع القديم بعوامل مصطنعة وانما توجد ضرورة انبثاق الاتجاه من أساسه •

فالاساس العقيدي يتحقق في تبدل الانواع الادبية ولقد تبدل وضعنا وظروفنا فهذا يستدعي منا مشاركة هذا الشعب العربي في وثباته وصرخاته وان نعيش معه في مسجده ومدرسته ومعمله وحقله • واما أن ندعو ونتأمل فهذه خرافة الخرافات واسطورة الاساطير • علينا ان ننظر الى الجذور **والأساس ونعمل على** ازالة كثير من العقبات •

ولقد انتهت فترة الطلاسية والرومانسية ومزاعم الفنان السابح فوق المعترك الاجتماعي لواقع امته لذلك وجب على الاديب المعاصر المتسلح بوعيه الثوري أن يثور على العقبات • وعلينا أن نعيش في المعترك ولذلك موجبات اجتماعية ومبررات نفسية وانساننا العربي يريد السلم والاستقلال الوطني والاشتراكية • والواقع يرينا ان فناننا متخلف عن ابداع الشعب وان الكلمة الطيبة يجب ان تؤخذ من افواه البسطاء والحياة تسرع في حركتها • وهذا التعاطف بين الفرد والشاعر وبين مجتمعه يعطي للشعر سمته الوطنية ولا يوجد ادب ملتزم وادب غير ملتزم (هذا تعبير للاديب محمود امين العالم) فقد اثبت الواقع ان الادباء الذين يحاربون الآراء الوطنية فانهم لا يريدون ابعاد السياسة بل يريدون الدفاع عن سياستهم فهم منحازون رغما عنهم فقد قال الناقد الروماني (دوبريانوجيريا) بحق (انه لم يكن ولا يوجد ولن يكون هناك أدب بلا هدف) لا أن نسمع بترديد نغمات ابعاد القصدية تحت ستار (حرية الحرف) !

فأية عاطفة انسانية عاطفة الحب الجنسي حين تسيطر عواطف جديدة اقوى منه على موقف الشاعر عواطف الخوف والهلع واي مجنون يحلم بزنبقته ! والمدافع تدك مدينته •

ان الحب هذه العاطفة النبيلة لا نفهمها بعيدة عن ملابساتها فنحن في هذه الحال من الخوف أخوف ما نكون على أنفسنا لنتشبث بالبقاء والتقدم لا أن يغفو فناننا كالطفل يحلم بزنبقته •

فالالتزام ليس مذهبا محددا بل هو دعوة والالتزام يستوجب النضوج الفكري والتعبير الفني الراقي لا أن نحارب الاساليب الجميلة بحجج واهية يتشدق بها الادباء هذه الايام • أجل ان البساطة جميلة لكن لا يستطيعها الا **الواعون** •

العمارة **فيصل عمران القاضي**



حذار بلا قلب

بقلم : محمد نديم

قتلته يا سيدي .. ولو كان هناك شيء أكبر من القتل لارتكبته ، دون أن أفكر ، ولم تكن ثمة قوة تمنعني من ذلك ، كنت سعيدا وانا اخمد انفاسه .. سعيدا ..

خيم صمت طويل وتقاربت رؤوس الثلاثة القابعة خلف المنصة الطويلة ، ونطق الحاكم الاغبر الوجه بصوت كلسع السياط :

اعدام ..

ما تحرك شعوري ولا حتى عندما خفض الحكم الى السجن المؤبد ...

* * * *

لم يكن يثير في نفسي شيئا بطء مرور الايام وكأنما قد مات في كل شعور بالوجود .. وقد كان من آن لآخر يشدني خيط واه بالماضي ينقطع سريعا لاعود الى حياة الضياع التي تلاشيت فيها ..

احببت السجن لأني كنت فيه وحيدا آمنا من انه ليس ثمة ما يهدد وحدتي ، حتى لقد استمرأت هذه الحياة وانقطع كل سبيل يصلني بحياة اخرى ، وكان الماضي يشدني دوما .. وكنت أعود اليه كأنه عيون فاتنة تشدني اليها فلا أقاوم ..

* * * *

عندما اغلق المصنع الذي أعمل فيه أبوابه كان يستخفني سرور مكبوت ، وكنت استعجل الخطى الى بيتنا الصغير فقد كانت التساؤلات الدافئة تتراكم في رأسي ..

لقد اخبرتني زوجتي هذا الصباح انها تشعر بآلام الوضع فتركتها بعد ان اوصيت بها جارتنا العجوز الخبيرة بهذا الشأن ...

كانت السماء تمطر واهنة فتبدو القطرات الدقيقة وهي تتخلل الاضواء الموزعة في انحاء الطريق كحبات صغيرة من الماس ...

لابد وانها تتألم .. انه المولود الاول .. ترى ايحتمل جسدها الدقيق آلام الوضع ..

كانت تبدو شاحبة هذا الصباح ،

وتلمست من جديد العشر ليرات التي استدنتها من احد العمال ،

سأجهز لها عشاء دسما حالما تضع .. اتمنى أن يكون ولدا ..؟

تبسمت خجلا من نفسي ، كان علي أن أسرع الخطى قليلا فالطريق ما زال طويلا ، رفعت عيني الى السماء وتمتمت مسرعا :

احفظها يا رب ، ليس لي سواها ، وأنا أيضا أحبها .. انها وحيدة مثلي .. ونحن الاثنين سعيدان معا ، وخذ بيدي ، اريد ان اسعدها دوما ..

استقبلتني العجوز عند الباب وسألتها بلهفة فهزت رأسها نفيا وعندما حاولت الدخول منعتني وقالت :

ما يزال هناك متسع من الوقت ، اذهب الى المقهى القريب وامكث حتى استدعيك ،

ولم أعارض فهمست وأنا أعود ادراجي :

ليكن الله في عونها ..

* * * *

دخل المقهى طفل صغير عرفت فيه ابن جارتنا العجوز ، ناديته فأسرع الي وقال :

يريدونك في البيت سريعا ..

كانت الساعة قد تخطت الثانية عشر ، استقبلتني العجوز عند الباب بوجل وقالت :

الولادة عسيرة جدا، اخشى ان يقضى عليها ،

قلت بلهفة :

ما العمل ..؟

قالت بسرعة :

عليك ان تحضر طبيبا في الحال . الامر فوق استطاعتي ولن اتحمل موتها بين يدي .

قلت بحيرة :

طبيب في هذه الساعة و ...

فقاطعتني وهي تمسك كتفي بقسوة :

انها حياة زوجتك يا رجل . بالله عليك اسرع بالطبيب

وكأن صوتها اعاد لي صوابي فقلت بصوت جامد :

انا ذاهب ..

لم اتعب في البحث كثيرا فقد كانت بقربنا عيادة طبيب طرقت بابها بلهفة . وبعد ربع ساعة كنت اتقدم الطبيب الضخم الجثة البطيء السير الى بيتنا . وتركته يدخل الغرفة حيث زوجتي ووقفت في الصالة انتظر نتيجة الفحص بقلق كبير ..

خرج بعد مدة قصيرة وقال وهو يمسح نظارته ووجهه السمين يتفصد بالعرق :

الحالة خطرة جدا . انها بحاجة الى عملية في الحال او قضت نحبها

قلت :

افعل ما تريد يا دكتور ..

نظر الي ثم مط شفتيه وقال :

الاتعاب ..

قلت بتردد :

ـ كم تطلب

ـ خمسماية ليرة ..

وكأنما اهوى على رأسي بمطرقة ثقيلة فقلت باسترحام :

هذا كثير يا دكتور .. لا اتحمل مثل هذا المبلغ

قال بصبر نافذ :

الا تساوي زوجتك هذا المبلغ

قلت وانا ارتجف لمجرد تصورها ميتة :

انها تساوي روحي . اني مستعد ان اهبك اياها ولكن انقذها .. اما المبلغ فلا املكه

قال بفراغ صبر :

لست بحاجة لروحك . ثم ليس لدي وقت اضيعه . يكفي انك ايقظتني من نومي ...

حاول الخروج فسارعت اليه وامسكته من يده وقلت بصوت ذائب :

دكتور ليس لي سواها .. كن رحيما قليلا

قال وهو يقف :

حسنا اكتفي بنصف المبلغ

قلت ورأسي يكاد ينفجر :

لا املكه ايضا . سأعطيك فيما بعد . كل ما تطلب

قال غاضبا :

هذا كل ما استطيع تقديمه من مساعدة . اما المبلغ او دعني اذهب

قلت وكأن الدنيا تدور بي :

يا الهي هذا شيء فظيع . ستدعها تموت . بالله عليك يا سيدي . قلت انها كل شيء بالنسبة لي . لا استطيع ان اتحمل ذلك ..

كان قاسيا لدرجة لم يجد معه كلامي شيئا ... وعندما انصرف شعرت كأنما ثقلا هائلا يشل اوصالي .. تهالكت على المقعد واغمضت عيني . انبعث من قلب السكون صراخ . وفتح الباب واطلت منه العجوز مولوله ..

ـ ماتت زوجتك ..

لم اتحرك وبقيت جامدا لحظة ثم قفزت كمن لسعته افعى وارسلت بصري عبر الباب المفتوح حيث انعكس المصباح على وجه زوجتي الشاحب .. وفجأة كأنما انفجر كياني كله .. ارتميت على المقعد وانا اعول كطفل صغير ...

قتلته ...

استندت بوهن على الجدار وارسلت بصري الى نهاية الشارع ..

انتهى كل شيء . اشعر بالراحة تحنو على جسدي . ونظرت الى يدي . قبل دقائق كانتا تطبقان على رقبة الطبيب الغليظة ولم تدعاها الا وروحه تخرج مع حشرجته .

رفعت خصلة من الشعر المبلول بالعرق البارد عن جبهتي وسرت بطيئا . كانت الريح تصفر خلال الاشجار . ومن بعيد بدا ضوء شاحب . ولما اقتربت منه استطعت ان اقرأ عبارة ـ الشرطة ـ كان ثمة حارس امام الباب المفتوح يغط في نومه فتخطيته دون ان يشعر بي الى الباب المفتوح وغبت فيه ..



هذه قصيدة نظمها الشاعر عبد الرحيم الحصني وأعدها لالقائها في رثاء رجل البلاد العظيم الاستاذ العلامة فارس الخوري . ويسر الثقافة أن تنفرد اليوم بنشرها .

ناحت لفقدك أسياف وأقلام
يا شيخ عفوك ان لم يجز الهام

عهدت شعري روضا لا خريف له
واليوم لم تبق من دنياه انسام

والكأس حلت وريد الراح عن شفتي
يا وحشة الليل لا راح ولا جام

ما كان ليلي طويلا لا ولا كبدي
حرى ولا حاد عن جنبي انعام

أصطاف تحت ظلال الحب منتشيا
ومسرح اللهو فينان وبسام

حج العنادل (عرزالي) فكل شج
اليه من فتنة (العرزال) أنغام

كأن لي من وثير الشعر مملكة
الدهر عبد بها والكون خدام

حسبتها أبدا واحسرتاه ولم
يخطر ببال مضيف السعد احجام

هان الوداع لو ان الراحلين رأوا
عشية السير ما ساموا وما ضاموا

رفعت عن وهدات اللوم من هجروا
وبت اكسو رداء الجهل من لاموا

. . .

سبحان ربي كم من عابرين مشوا
درب الحياة فلا دامت ولا داموا

تخيلت شاطىء العرفان واختلفت
على الحقيقة آراء وافهام

والعقل بالغفلة الحيرى تبادله
سر الانام نبوآت واحلام

والناس لولا رجاء النفس ما كلفوا
بحب بهرجة الدنيا ولا هاموا

كسب الكريم من الدنيا ضنائعه
وكل ما يبهر الانسان أوهام

. . .

يا خالدا في نفوس العرب قاطبة
في كل قلب على مسراك آلام

هذي المنابر تستوحي رؤاك أجب
يا فيصل القول ما في الحق ايهام

من للبيان اذا جف المداد ولم
تعكف على رأيك المخصاب أعلام

من للبلاغة ان بحت صواهلها
وغاب عن سوقها العصماء سوام

من للسياسة ان ضاقت معاجمها
وضل ميدانها القدسي مقدام

من للديار التي عاشت بحرمتها
من عصبة الشر أوغاد وأقزام

بمسمعي من أنين القدس غمغمة
وراء نعشك والباكون هيام

حبيبي الحر . من لي . كيف تهجرني
ومعول الغدر في مفناي هدام

والهفتاه لانجاد يدنسها
بغي . وفسق . وأنصاب . وأزلام

. . .

دنياي واخجلة التاريخ منك اذا
لم تمح عن وجهك الوضاح آثام

نام الرعاة • فلا ذئب يضيق بـه
سعي • ولم تنج من فكيه أغنـام

والصيحة البكر ما زالت تجلجلها
في محفل القادة اللاهين أفمـام

كأن في كـل واد مـن مسامعهم
وقرا • تنوء بـه صم • وأصنام

تناكبت في زحام الكسب واصطرعت
عـلى المناصب قـواد وحـكام

والقدس تدمي سياط الغدر مهجتها
ونحن في مهجع اللذات نيـام

• • •

يا فارسا ما انجلى نقع بساحته
الا وللنصـر في كفيـه أرقـام

أصفيتك الحب عرفانا ولو رشفت
عيناي رمسك ما وفاك اعظـام

لكنهـا نفثـات أنت تعرفهـا
في دولة الشـعر نزاف ونظـام

نعمى الهوى بنفوس الاوفياء لهـا
من سندس الحب أزهار واكمام

تنفست فالملا مـن وهجهـا عبق
مجنح الشـعر في دنيـاه حوام

• • •

يا فارس الساحتين العـز بينهما
بعض الهبات وعرش الخلد اتمام

اليك من (هاشم) قرب ومرتبـة
ومـن ملاعب (سعد الله) آكام

فـديت بالنفس أمجـادا تزينهم
مـن حلة المجـد أردان وأكمام

أحفـاد مروان والعليـا مطيتهم
في مرتع النجم أخـوال وأعمـام

ما عتق الدهر أشهى من سلافتهم
يا نشوة الخلد مما تنجب الشام

• • •

مهـد البطولات ما للوحي أبطأني
أغرى بي الهم • أم أغواه نمـام؟

تحكمت بفؤادي كـل عاديـة
كأنني لوحـة والخطب رسـام

ما رفرفت آهـة الا ومن كبدي
ما بـين اطوائها جرح وايـلام

يا راقـدا يتّم الجـلى بغفوته
زلت عـلى نهجك المئناف أقـدام

نذرت للحق قلبـا صافيا ويـدا
ولم ينـل منك لا نقص ولا ذام

ليت الذين استباحوا من عبادتهم
زيف العقيدة لا صلوا ولا صاموا

اني لاخجل من تبيان ما اخترمت
أيدي الغـواية • وانتابته أيام

• • •

ياصاحب السيف لولا السيف ما نزحت
عن ربعك الخصب خوان وظـلام

أخوك (يوسف) ما هانت شكيمته
كـلا كما باقتحام الروع زحـام

ان كان للرأي قبل السيف منزلة
ففيهما أنت • مصباح • وهـزام

كـلا الجهادين عنـد الله جزيته
في جنـة الخلد احسان واكـرام

تراجم غربية

توماس وولف

بقلم: عبد الوهاب رمضان

عالج توماس وولف بعنف شيطاني متعثر ما اسماه (معجزة الحياة العجيبة المريرة) المعجزة التي شاهدها في انماط من الاضداد ، لم يكن ليفهم شيئا الا اذا وجد له نقيض ، فقد كان يعتبر تسجيل هذه الاضداد اشد المميزات وضوحا في مؤلفاته . وأهم اثاره (انظر صوب البيت ايها الملاك) و (من الموت الى الصباح) و (نسيج العنكبوت والصخرة) .

وفي مؤلفات وولف ايضا صراع اساسي للافكار ، فقد صرح قائلا : (وأخيرا اكتشفت اميركاني .. وسأفرض رؤياي لهذه الطريقة ولهذا العالم ، ولاميركا هذه ، بكل ما اوتيت من عزم وباعلى ما عندي من قدرة ، ولكن دون ان أحيد عما كرست له نفسي أو عن الامانة أو نقاء الغرض .) وكان يرى نفسه بمنزلة مارك توين وشيروود اندرسون .

وينعكس اهتمام وولف الاساسي بالاضداد في اسلوبه نفسه . وفي عباراته المتعارضة المتوازية الكثيرة وفي سير صوره جنبا الى جنب بصورة مذهلة حيث انه لا يوجد من يساويه بهذه الناحية بين كتاب امريكا في هذا القرن غير همنغواي الذي يساويه في عرض العالم المادي بالصور عرضا مثيرا وبحيث يلوح انها تكاد ان تلمس اعصاب القارىء الحساسة ، وقد قال وولف (أظن ان ذاكرتي تتميز بصورة غير عادية بتركيز انطباعاتها الحسية وبقوتها على اثارة بعث واستحضار الرائحة والاصوات والالوان والاشكال والشعور بالاشياء بوضوح ملموس .) .

كانت طريقة وولف في كتبه مزيجا من التمثيل الواقعي والبيان الرومانتيكي ، ويلوح انها عكست وجهة نظر متعارضة في طبيعة الفن، ولربما تكون قد كشفت عن وجهة نظر مزدوجة ، فنحن تارة نجده ملتزما بتصوير العالم الفعلي تصويرا مفصلا دقيقا الى حد كان يصعب عليه ان يصور شيئا لم يكن قد جربه شخصيا ، ونلاحظ أن فكرته عن طبيعة الفن ووظيفته كانت في اساسها فكرة النقاد والشعراء الرومانتكيين الذين وجدوا في القرن التاسع عشر .

هذه النظرة الجمالية ناجمة بصورة طبيعية عن تربيته ، فقد اثر عليه خمسة اساتذة ، اربعة منهم رومانتيكيين تماما ، كما كانت مرغريت روبرتس التي درسته مدة اربع سنوات فتركت في نفسه انطباعاتها التي لم تمح وملأت صباه بحب مماثل لشعراء الانكليز كحبها لوردزورث وكاريو وجونسون وشكسبير ، ودرس وولف في جامعة نورث كارولاينا على يد هوراس وليمز الذي كان متصوفا شكلا سائبا من اشكال الدايكتميك الهيغلي (الذي يتمخض فيه المفهوم او الفرضية عن نقيض او مقابل ثم يتفاعل الاثنان فيما بينهما فينتجان مفهوما جديدا هو حاصل اندماجهما) . ودرس على يد فردريك كوخ الذي شجعه على كتابة المسرحيات الشعبية وقد كانت هذه اولى اعمال وولف الادبية الناجحة . واثر فيه ايضا جون لفنغستون لوويس وجورج بيرس بيكر الذي اشتهر بتأسيسه / ورشة رقم ٤٧ / ـ هو فرع دراسة في التمثيل الذي اسسه بيكر في جامعة هاردفرد .

ولد توماس وولف في اشفيل ، بنورث كارولانيا في الثالث من تشرين الاول عام ١٩٠٠ وكانت مدينة

دوران (كاسرا عصاه) : ان من يعجز عن القتل لجدير بالموت !

انطونيو : الوداع ! ولكن ثق بكلامي ، ستأسف على آخر جرذ في السفينة التي تغرق !

تيريز (لدوران) : ان لك طريقة عجيبة في معاملة نزلائك ! وليس غريبا ان رأينا المثوى يتهدم !

دوران : طريقة عجيبة ! مثل هذا النزيل ! ولكن قولي لي يا تيريز يا ابنتي ... (يأخذ رأس ابنته بين يديه) نعم ، قولي لي يا ابنتي العزيزة ، هل خانتني عيناي منذ لحظة ام انك كذبت علي ؟

تيريز (عابسة) : ماذا ؟ ماذا تريد ان اقول لك ؟

دوران : تعرفين جيدا ماذا اريد ، اواه ، ربما لم تكن القضية في حد ذاتها بريئة جدا . كلا ما يشغلني هو أن أعرف هل استطيع ان أثق بحواسي .

تيريز : هل لك أن تغير الموضوع ؟ بل قل لنا ماذا سنأكل وماذا سنشرب اليوم ... ثم ليس صحيحا انه قبلني .

دوران : ليس ذلك صحيحا ؟ ومع هذا فأنا اقسم انني رأيته ...

تيريز : أثبت ذلك !

دوران : كيف اثبته ! بشاهدين او بشرطي ؟ (لآنيت) انيت يا صغيرتي ، هل تريدين ان تنبئيني بالحقيقة ؟

آنيت : لم أر شيئا .

دوران : هذا جواب حسن ، لان على الاخت الا تتهم أختها ! ما اشبهك اليوم يا آنيت بأمك !

آنيت : لا تتحدث عن امنا بسوء ! فلا بد انها ما تزال هنالك !

تدخل اديل حاملة قدحا من الحليب .

اديل (تضع القدح على الطاولة ، لدوران) : ها هو ذا حليبك ، أين الخبز ؟

دوران : لا خبز اليوم يا بناتي . أما غدا فستحصلين على الخبز ، لقد حصلتن عليه حتى اليوم .

تيريز (تسحب من امامه قدح الحليب فجأة) : لن تحصل على شيء انت الذي ترمي المال وتترك بناتك يمتن جوعا !

اديل : لقد رمى البائس بالمال ! كان علينا ان نضعه في مستشفى المجانين ، يوم قالت لنا امنا انه أصبح يستحق ذلك . (تخرج ورقة) ها هي فاتورة اخرى ! لقد وجدتها تحت باب المطبخ .

ينظر دوران الى الفاتورة ويرتجف ، ثم يملأ الكأس ماء ويشربه ، واخيرا يجلس ويشعل غليونه .

آنيت : حين يتعلق الامر بالتدخين فانه يجد المال !

دوران (متعبا ومستسلما) : يا بناتي العزيزات ، ان هذا التبغ لم يكلفكن اكثر من الماء ، انه هدية قدمت الي منذ ستة شهور ، فلا تغضبن هكذا بلا مبرر .

تيريز (تأخذ منه الكبريت) : وهكذا فانك لا تبدد الكبريت .

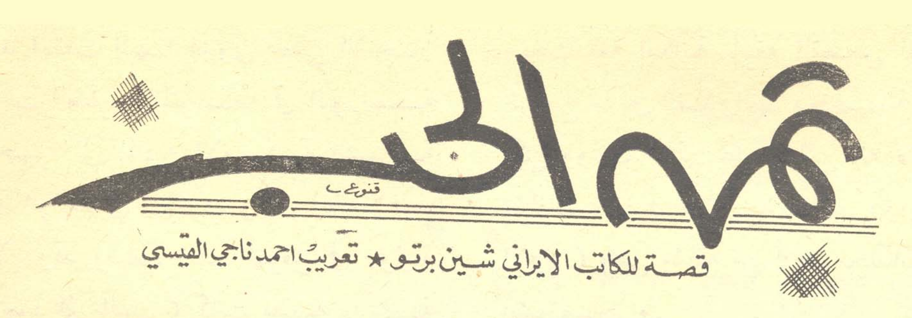
دوران : لو كنت تعلمين ، يا تيريز ، كم بدد من كبريت لاجلك ، حين كنت أنهض في الليل كي أرى هل سقط عنك غطاؤك وأنت نائمة ! لو كنت تعلمين يا آنيت كم مرة اعطيتك الماء خفية ، حين كنت تبكين من العطش ، بينما كانت امك ترفض ان تسقيك الماء بحجة ان الماء غير مفيد للاطفال !

تيريز : اننا لا نبالي بالذكريات القديمة ! ثم انك تقوم بواجبك ، لقد قلت ذلك بنفسك غير مرة ...

دوران : كان ذلك واجبي ، لا شك ، ولكنني كنت أفعل فوق واجبي .

اديل : اذن فما عليك الا ان تتابع ذلك ! والا فلست ادري ماذا سيحل بنا . ثلاث فتيات دون سند او معيل ، ودون اي سبيل من العيش! هل يمكن تعرف الام يمكن ان تدفع بنا الفاقة ؟

دوران : لقد قلت ذلك منذ عشر سنوات ، ولكن لم يشأ أحد ان يصغي الي ، ولقد تنبأت منذ عشرين عاما بأن هذه الساعة آتية الا انني لم استطع ان احول دون قدومها . لقد ظللت المكبح الوحيد على المنحدر ، ورأيت المنحدر يندفع الى الهاوية ولكنني لم استطع تجنبه .



قصة للكاتب الايراني شين برتو ★ تعريب احمد ناجي القيسي

كان (هيرتا بن سورنا) يعيش في قصره العظيم الفخم ، في ملك أبيه ، على حافة بحيرة (زريمند) ٠ وكان (هيرتا) الابن الوحيد ل (سورنا) ، القائد العظيم للملك الاشكاني (أود) ، الذي كسر الروم في (ما بين النهرين) كسرة فاحشة ، وقتل في تلك الحرب القائد الروحي (كراسوس) ٠

وقد تلاشى بعد مجيء الساسانيين ، جلال الاشكانيين وسلطتهم ، فالتحق قواد ايران العظام بجيش (ارد شيربن بابك) ، ولم تكن بقايا الاشكانيين لتنبس ببنت شفة عن اعتدادها ، فكانوا يعيشون في أملاك آبائهم وأراضيهم ، وكان (هيرتا مين سوريا) يعيش ، منذ مدة ، في قصر أبيه الصيفي العظيم، وكان قد احتسب زوجته الاولى منذ عدة سنين ، ولانه لم يكن له منها ولد ، تزوج في السنة الاخيرة ، فتاة شابة ، في ربيعها الحادي والعشرين ، كان قد تعرف بها ، صدفة ، في احدى القرى ٠ واذا كان (هيرتا) عائدا من الصيد ، لاقى (ماندا) قرب القرية ، وكانت (ماندا) تحمل من الينبوع ، الى البيت جرة ماء كبيرة ، على كتفها ٠ فسألها ماءا ، وسألها عن اسمها ، وخطبها في تلك الليلة نفسها ، الى ابيها ، واتى بها الى قصره في اليوم الثاني ٠

وكانت (ماندا) بنتا حسناء ، فارعة القد ، جميلة الاعضاء ، وقد وردت قصر (هيرتا العظيم) بعينين واسعتين سوداوين ، وغدائر طوال ، وبشرة بيضاء رقيقة ، وصوت يجذب القلوب ، وجسد شي لطيف ، وآمال كبار ٠

وكان (هيرتا) يقضي أكثر أوقاته بتفقد أملاكه البعيدة ، وبالصيد ٠ وكان قلما التفت الى التسرية عن قلب (ماندا) الشابة الجميلة ، ولم تمر الايام والاسابيع الاولى ب (ماندا) غير طيبة ، ولكن الحياة أصبحت جحيما عندها ، بعد عدة اشهر ، وصار قصر (دهرنا) العظيم الفخم ، في نظرها سجنا ، ولم يكن (هيرتا) بالشاب الفتي ، بل كان قد بلغ من العمر عتيا ، وأربت سنه ، بالنسبة الى سنها ، على الضوفين ٠

وماذا يمكن ان تكون حياة بنت شابة تفيض جوانحها بالحب ، مع رجل بينها وبينه اختلاف في السن كبير ؟

وكان في قلب (ماندا) حاجة الى مداعبات الشباب واغاريده المجنونة ، ولم يكن (هيرتا) ـ مع ماكان يشغله من اعمال يقدر ان يطمن احتياجات روحها الثائرة ٠

ولهذا السبب كانت (ماندا) تتعذب ، فعراها النحول والاصفرار شيئا فشيئا ، فكانت كالوردة الحمراء الريا ، تفجؤها الشمس المحرقة ، فتجف ويصيبها الذبول ٠

وقد ادرك (هيرتا) الذي كان يرقب زوجه الفتيه ، جيدا ، أنه ان لم يفكر في علاج لانقاذها مما هي فيه ، فستضيع من يديه ، وكان قد تعلق قلبه بها كثيرا ، وكان يحبها كأحسن الاشياء وانفس الجواهر ٠

٠ ٠ ٠ ٠

وفي ظهر هذا اليوم ، اذ ارادا تناول طعام الغداء ، لم تشته (ماندا) ، كما كان شأنها في الاسبوع الاخير ـ ان تأكل شيئا ، ورفعت كأس شرابها ، وبلت شفتيها ، ثم اعادته الى مكانه دون ان تحتسي منه اي شيء ٠

وألقت على (هيرتا) نظرة حزينة ، تبعث في القلب الرحمة والشفقة ، ثم أطرقت ٠

فقال لها (هيرتا) بصوت مبحوح مشوب بالاضطراب ، وهو يعد كلماته عدا :

ـ « اي (ماندا) ! يا عزيزتي ! اني لاعلم ان الحياة تمر بك مريرة ٠ واني لا استطيع ان ألهيك بسبب اشغالي الكثيرة ، ولكني فكرت فكرا لطيفا لالهائك وايناسك ٠ »

ومع أن هذا الكلام كان ذا جدة عند (ماندا) ، لم ترفع رأسها ، ولم تلق على زوجها نظرة اخرى فقال لها (هيرتا) مرة ثانية :

ـ « ماندي العزيزة ! أصغي الي جيدا ٠ في هذا اليوم نفسه سيأتي شاب فتى الى قصرنا ، انه لفارس حسن ، وانه ، في الرحى ، وفي لعبة الكرة والصولجان لذو مهارة ، وقد طلبت منه أن يبقى في قصرنا ، وان يعلمك الفروسية وفنون لعبة الصولجان ٠ وهو يعرف فنونا كثيرة ٠ لقد طلبته من بلاد (فارس) ، وسيعيش معنا ، ليلا ونهارا ، كأحد المقربين ، وسيشاركنا في نزهاتنا ، وسيتناول معنا الطعام ٠ »

وكان قلبها يخفق ، بدون ارادة ٠ « الفروسية » ، « لعبة الصولجان » ، « أن يبقي في قصرنا » ، « سيعيش

معنا ليلا ونهارا » ، كانت هذه الجمل تطن في اذنها كصوت الناقوس الكبير : دنك دنك • وكأنما كان يتلألأ في هذه الحياة المحزنة الشقية ، ضياء جديد •

• • • •

وحينما كان (هيرتا) و (ماندا) ، في عصر ذلك اليوم نفسه ، يتمشيان في احدى حدائق القصر الفسيحة الملأى بالازاهير ، اخبره احد الخدم ، أن الضيف الذي كان ينبغي ان يأتي ، قد أتى ، وورد عليهما (مهيار) شابا ، نحيلا ، في ربيع الثلاثين ، ذا شعر كثيف ، نشيطا ، مبتسما ، كعروس جديد فرح ، وكان قد علق في منطقته سكينا صغيرا ، وكانت نظراته تبعث برقا ينفذ الى القلوب •

وكان قلب (ماندا) وعيناها ، تتألق من رؤية (مهيار) ، وكانت قد سر قلبها سرورا لا مزيد عليه ، وكانت تسترق اليه النظر احيانا ، وتصغي الى كلامه بدقة •

وكان (مهيار) يتحدث عن مسافرته ، وما لقي من نصب الطريق ، وقد أثنى على قصر (هيرتا) ، وقال له :

ـ « سيدي ! ان قصرك وحديقتك لذوا جلال وجمال • انه لتلفى الازهار الجميلة الساحرة في حدائق (اكباتان) •

وحين قال هذا الكلام ، ادار النظر الى (ماندا) ثم اضاف :

ـ « ولكن ، يا سيدتي ! في (فارس) ايضا اوراد حمر ، طيبة الشذا ، منعشة ، كثار »

• • • •

ومنذ تلك الليلة ، اذ وجد (مهيار) في قصر (هيرتا) ، لنفسه موضعا ، وجد في قلب (ماندا) ايضا مكانا عظيما ، فقد كانت (ماندا) قد تغيرت فكانت تفرح كطفلة جلبوا لها لعبة جميلة جديدة • وكانت تغني • وكان (مهيار) ايضا قد وجد لنفسه مسرة عظيمة ، فكان يمتطي الخيل مع (ماندا) كل يوم ساعة او ساعتين • ويعلمها لعبة الكرة والصولجان • وكان قلبه يعلق بـ (ماندا) قليلا قليلا • وكان يفهم (ماندا) حبه كلما سنحت له الفرصة ، بنظرة وبحركة • وكان احيانا ـ اذ يخرجان للنزهة ، يسترق قلبه من قفا رقبة (ماندا) او ذراعها ، او يدها ، او يلصق وجهه بغوائرها الحسنة اللون المتضوعة الاريج • حتى تعانق (ماندا) و (مهيار) ، في يوم من الايام ، اخيرا ، والتفت ذراعاهما على الرقبتين ، والتقت شفاههما ، بدون اختيار ، خلف شجرة ورد عظيمة •

• • • •

وبعد عدة ايام سألها (هيرتا) ، وقد عاد من تجواله الصباحي ، على حصانه ، الى البيت ، ليغير ملابسه :

ـ « (ماندا) ي العزيزة ! خبريني ، اراضية انت عن (مهيار) ؟ »

فأجابته (ماندا) :

ـ « اجل ! اني لراضية عنه ، فقد علمني اشياء كثيرة ، واني استطيع الآن ان اعبر الانهر العظيمة راكبة قافزة ، وقد تقدمت في لعبة الكرة ، وقد بقي لي حتى الان شيء من التدريب لاصبح لاعبة صولجان ماهرة »

فسألها (هيرتا) :

ـ « أتتصورين أنك ستتعلمينها جيدا بعد عدة اشهر أخرى ؟ »

ـ « لست ادري ••• انه نفسه يقول اني باستعدادي الذي أبديه ، سأصير ، بعد اربعة اشهر اخرى ، لاعبة صولجان طيبة ، وسأتعلم كل فنونه ، غير ان (مهيار) لا يتعجل الامر ، ويقول ينبغي التقدم ببطء »

فقال (هيرتا) :

ـ « انه ليقول صدقا • والاحسن ان تتعلمي ، على هينة ، كل شيء » •

ثم سكت قليلا ، ولكنه فجأها بالسؤال :

ـ « حسن ، يا ماندا ! قولي الصدق ، كم تحبينه ؟ أ (مهيار) تحبين اكثر ام اياي ؟

فهبط قلب (ماندا) فجاءة ، الا انها تمالكت نفسها ، وقالت :

ـ « هيرتا ! هيرتا ! انت زوجي وسيدي ، أما هو ففارس طيب ليس غير ••• »

فاقترب (هيرتا) من (ماندا) ، واخذ يديها بيده ، فداعبهما ، فقبلهما ، ثم قال :

ـ « (ماندا) ! اني أجيزك أن تسعدي به ، ان تخرجي معه للنزهة ، ان تلعبي ••• واني لموقن انك لن تسمحي لنفسك ابدا ان تعملي عملا خلاف الشرف •• !

• • • •

ومنذ هذا اليوم كانت (ماندا) اكثر حرية في ان تسعد بمهيار • فكانت تمنحه من القبل اكثر مما كانت تمنح ، وكانت تنال من قبله اكثر مما كانت تنال • وكانت كلما ذهبت معه الى الخمائل والحقول النائية ، تتدحرج معه اكثر من ذي قبل ، على الاعشاب ، ولكن متى ما كانت تصبح يدا (مهيار) جريئتين كانت (ماندا) تلوذ بالفرار ، ما أحلى تلك الساعات التي كانت تقضيها معه !! لكنها لم تدع العمل الذي يلوث شرف (هيرتا) يقع ، وكان (مهيار) قد شغف (ماندا) حبا ، وجن بها جنونا • وطمن الى وصالها ، وفاته الصبر ، حتى قال لها يوما من الايام :

ـ « (ماندا) ! (ماندا) ي الحلوة ! نبئيني متى تكونين لي ؟ لم تؤذين محبك بهذا المقدار ؟ الست تحبينني ؟ »

فأجابته (ماندا) :

ـ « بلى ! بلى ! يا مهياري ! اني احبك حبا لا حد له • ولكنك لا تدري اي اشكال عظيم في عملي • ويؤسفني اني الان لا استطيع ان امنحك نفسي • اما قلبي فلك ، وروحي فلك ، وكل احساساتي فلك • »

فأرسلها (هيرتا) حسرة ، وسألها :

ـ « اذن متى ؟ متى يا (ماندا) ي العـزيزة ؟ (ماندا) ي العزيزة ! لا تدعيني احترق هذا لاحتراق • أتعلمين شخصين يحب بعضهما الآخر هذا الحب الذي يحبه بعضنا بعضا ؟ لن يمكن ان يكون اي اشكال • فلو كانت الجبال اشكالا لوجب ان تذوب • »

ـ « انك لتقول حقـا • اني استطيع ان ارفـع الاشكالات جميعا • ولكني أخشى ان تتم بثمن عظيم ••• »

فضغط (مهيار) بوجهه على صدرها ، وقال : بأية قيمة تكون ، يا (ماندا) ، بأية قيمة تريدين ان تتم، انا حاضر أن افديك بنفسي لتكوني لي •• »

ثم سكتت (ماندا) زمانا ،وأطبقت عينيها فقالت ، بهدوء ، كأنها تتكلم في الحلم :

ـ « ليكن يا (مهيار) ! ليكن ، في الاسبوع الاتي ، كلما ذهب (هيرتا) يتفقد أملاكه كنت لك ••• »

• • •

وبعد اثني عشر يوما ذهب (هيرتا) لتفقد املاكه بصحبة حاشيته • وفي ذلك اليوم كان (مهيار)و(ماندا) كلاهما ، فرحين غاية الفرح •

واطلقا العنان لفرسيهما ، قبل الظهر ، بعد ان فرغا من لعبة الصولجان ، وفي حقل مخضوضر ، عند سفح الجبل ، ترجلا عن فرسيهما ، وجلسا في مكان لين جميل، على الاعشاب الطرية ، وكان يحدق احدهما النظر الى الآخر : (ماندا) بعينيها المملوءتين حنـانا وعطفا ، و (مهيار) بعينيه المملوءتين نارا • وأي شعر وجمال كان خافيا في برق عيونهما ؟! وما كانا يتكلمان ، ولكن القبل والمداعبات كانت أحسن الكلمات المعبرة عن احساساتهما ، وظلا يتدحرجان على الاعشاب فترة من الزمان •

• • •

وانقضى ذلك اليوم والايام الاخرى سعيدة طيبة • ما أحلى تلك الساعات التي كانا يقضيانها ! ما اعذب الحب وما ألذه !

وكانت (ماندا) قد أوصت (مهيار) أن يكون دقيقا في نظراته وحركاته حين يتناولا معا طعام الغداء او العشاء ، وألا يعمل عملا يثير الشك في قلب (هيرتا) •

ولكن المحبين مهما افرطوا في الدقة والاحتراز،رأت الاعين الغريبة منهم ما يجب أن ترى ، وان الازواج الذين يراقبون نساءهم ، اول من يدركون خياناتهن ، قبل كل انسان •

وكان (هيرتا) قد فهم ، بعد ان عاد من تفقد أملاكه ، بعدة ايام ـ ان (ماندا) خلافا للوعد ، قـد نقضت عهدها • ولم يبد منه انه قد فهم شيئا ، فلينتقم لنفسه اليوم او بعد يوم •

• • •

وفي هذه الليلة ، حين ذهبت (ماندا) الى مائـدة العشاء وجدت مكان (مهيار) خاليا • وكانت قد رأته صباحا ، وبعد الظهر ايضا ، وكانا قد ركبا الخيل معا فذاقت لذة الحب بين ذراعيه ، في ناحية خلوة • ولكن بعد أن رجعـا من ركـوب الخيل ، واخـذ (مهيار) الفرسين ، لم تره ، وفي ظنها أنه قد ذهب الى مكان ما •

وأن (ماندا) كانت تنظر الى مكان (مهيار) الخالي، وكانت قد عراها الاضطراب ، قال لها (هيرتا) :

ـ « لا تضطربي يا عزيزتي ، فقد ارسلته الى هذه القرية القريبة ، ليجلب لي المهر الابيض الذي قد اهدي الي ، واخاله يكون عندنا بعد ظهر الغد ،

وشغلت (ماندا) بتناول الطعام ، وتذكرت انهـا كانت قد نامت بين ذراعي (مهيار) ، فوق الاعشاب ، ولكي تخفي لذتها ، شربت كأس شرابها حتى الثمالة ، فصب (هيرتا) الشراب في كأسها ، ثانية ، وجاء الخدم بالطعام فوضعوه امام (هيرتا) والسيدة (ماندا) •

وكانت كأس الشراب قد منحت (ماندا) الاشتهاء ، فأتمت صحنها بلذة كبيرة ، وبعد دقيقة او دقيقتين اذ قشرت تفاحتها واخذت تأكلها ، سألها (هيرتا) :

ـ « (ماندا) ! هل التذذت كثيرا بما أكلت من طعـام ؟

فأجابته :

ـ « نعم ! لقد أعجبني جدا ! »

فسألها (هيرتا) :

ـ « أتدرين مم صنع هذا الطعام ؟ »

فقالت (ماندا) :

ـ « لست ادري • »

ثم قال (هيرتا) بهدوء :

ـ « لقد كان كبد (مهيار) ••• لقد أكلت كبده »

فسقطت التفاحة والسكين من يد (ماندا) ، وامتقع لونها ، وبردت كل اعضائها ، وفجأة ، نهضت مـن مكانها ، وهي تصرخ صراخا مخيفا ، لقد كانت تصيح كالمجانين •

وجرت ، وألقت بنفسها ،الى الحديقة ، من الشباك •

ترجمها : أحمد ناجي القيسي
الاستاذ بكلية الاداب
جامعة بغداد



اكتبوا لي ..
يا رفاق الجرح ،
يا تسبيحة اللحن الحزين ..
اكتبوا لي ..
انا في عتمة دربي
في تهاويل خطى الصمت
ازرع الحرف على شطآن عمري ..
في جفوني ..
في قرارات بحاري ..
ونئيج الريح في سمعي
حكايات قديمة ..
واحاديث اليمة .

. . .

اكتبوا لي ..
عن سنين الجدب ،
عن غربة حبات العيون ..
عن كنار اصفر المنقار
لا اعرف سره
موسمي يا دمعة النجم
وريقات واغصان
بلا ظل
بلا مسند نحله ..

. . .

اكتبوا لي ..
يا رفاق الجرح
عن رقصة اشباح الخواطر ..
في صحارانا .. هناك
على برد المقابر ..
كم تطلعنا الى الافق
واسلمنا رؤانا ..
وانسلخنا عالما للوهم
للدرب الملول

. . .

اكتبوا لي ..
عن عناقيد الكروم السود ،
عن ذكرى هوانا
عن سذاجات خطانا
ما على الصفصاف لو يبكي سوانا
ما بكينا نحن بل عدنا ولا نعرف شيئا
عن اراضينا الخصيبة ..
يا رفاق الجرح
لا نعرف شيئا
عن اراضينا التي كانت خصيبه ..
جبهة الغيب فلا كانت
ولا كانت مراياها الكئيبة .

. . .

اكتبوا لي ..
عن ضياع الزورق الهائم
شق في اجفانها شمسا
ثم غاب
في متاهات الضباب
راعف الالحان ، مجهول الاياب
في مسافات مريرة ..

. . .

اكتبوا لي ..
يا رفاق الجرح ،
يا تسبيحة اللحن الحزين ..
حان ميعاد رحيلي
هذه عكازتي تخطو
واحمالي وصمتي
وعلى شطآن عمري ..
احرفي كانت وما زالت
رياح الليل تذريها
بصمت ..
وانادي : ايه يا ريح .
وصوتي
يا لصوتي
ضاع في مقبض عكازي
وفي خطوي ..
فلو تسمع مرة ...



الاشخاص

السيد دوران : صاحب مثوى ، موظف سابق في شركة الخطوط الحديدية التابعة للدولة .

اديل : ابنته ، في السابعة والعشرين .

آنيت : ابنته ، في الرابعة والعشرين

تيريز : ابنته : في الثامنة عشرة .

انطونيو : ضابط في فرقة الفرسان الايطالية .

تجري حوادث المسرحية في سويسرا حوالي عام ١٨٨٠

في غرفة للطعام ، طاولة كبيرة في الوسط . تشاهد من باب الصدر المفتوح على مصراعيه ، رؤوس أشجار السرو لاحدى المقابر ، ومن ورائها بحيرة (ليمان) وجبال الالب المطلة على سافوا ، و (ايفيان) مدينة المياه الفرنسية . الى اليسار باب يفضي الى المطبخ ، والى اليمين باب **المدخل** .

السيد دوران واقف ينظر الى البحيرة بنظارتين . تدخل اديل ، كماها مرفوعان وقد لبست (مريلة) ، حاملة القهوة على صينية .

اديل : ألم نذهب حتى الآن يا أبت ، كي تحضر الخبز ؟

دوران : كلا فقد ارسلت بيير ، ذلك بأنني أشعر في هذه الايام بكثير من الالام حتى انني لم اعد استطيع ان اصعد المرتفع .

اديل : بيير ، دائما بيير ! ولكن ذلك يكلف مزيدا من المال ! ومن اين نحصل على هذا المال ؟ مع العلم بأنه لم يفد الى المثوى سائح واحد منذ شهرين !

دوران : صحيح جدا ، الا انني أرى ان آنيت كان بامكانها ان تذهب لتحضر الخبز مع ذلك .

اديل : سيكون الامر شديد الخطورة بالنسبة لديون المثوى ، والحق انك اعتدت على ذلك !

دوران : حتى أنت يا اديل !

اديل : ذلك بأنني متعبة أنا أيضا . ويبقى بعد ذلك كله انني كنت اكثركم مقاومة .

دوران : هذا صحيح . وظللت محافظة على انسانيتكم كذلك ، **بينما راحت تيريز وآنيت تعذبانني** . كنت أنا وأنت بعد موت امك دعامتي البيت الوحيدتين ، فحللت انت محلها في المطبخ مثل (سندريون) وكان علي أن اكنس وانظف واشعل النار واقضي الحاجات ، وأفعل كل شيء . (فترة) انت متعبة ولا شك ، ولكن ماذا ينبغي ان اقول أنا ؟

اديل : لايحق لك أن تكون متعبا ، أنت الذي لك ثلاث فتيات لا وضع ثابتا لهن . ثلاث فتيات بددت مهورهن .

دوران : (وهو يصيخ السمع لضجة تأتي من الخارج) : هل تسمعين صوت الجرس ، وقرع الطبل هنالك من ناحية (كوللي) ؟ اذا ظهرت الناس فمعنى ذلك انهم هلكوا ، لان الاعصار سيرتفع عما قريب ، وأكاد أراه الآن على البحيرة .

اديل : هل دفعت تأمينات المنزل ؟

دوران : لا شك في انني دفعتها ، ولولا ذلك لما حصلت على آخر سلفة على العقار المرهون .

اديل : ترى هل بقي هنالك شيء واحد فقط لم يرهن ؟

دوران : خمس القيمة المؤمن عليها . ولكنك تعلمين جيدا ان الاملاك هبطت قيمتها منذ انابعدت الخطوط الحديدية نحو الشرق بعيدا عن بيتنا .

اديل : حسن ، فذاك افضل !!

دوران (بقسوة) : اديل . (فترة) هل اطفئت الفرن ؟

اديل : كلا ، لن اطفئه قبل ان يصل الخبز .

دوران : ها هو ذا قد وصل .

(يدخل بيير ، وعلى ذراعه سلة)

اديل (وهي تبحث في السلة) : لا خبز هنا ، ليس الا قائمة الحساب ! قائمتان ! ثلاث قوائم !

بيير : نعم . لقد قال الخباز انه لن يعطينا خبزا

بعد اليوم ان لم نسدد له دينه ، ثم مررت باللحام وبالعطار بعده ، وهذان أيضا أعطياني قائمتيهما .

يخرج

اديل : يا الهي ! ها نحن على حافة الهاوية ... ولكن ما هذا ؟

تفتح صرة .

دوران : هذه شموع اشتريتها للقداس الذي سنقيمه في ذكرى عزيزي (رنه) . اجل فاليوم ذكرى وفاته .

اديل : أما من أجل هذا ، فأنت تجد المال !

دوران : انني اجمع المال من المنح . ألا تظنين أن مما يذلني اعظم الاذلال ان أرى نفسي مضطرا لان أمد يدي حين يمضي المسافرون ؟ ألا تمنحينني هذه المسرة الوحيدة التي بقيت لي : وهي ان امتلك ألمي مرة واحدة في العام ؟ وأعيش في ذكرى الكائن الانبل الذي منحتني اياه الحياة ؟

اديل : لو بقي على قيد الحياة ، لرأيت كم سيكون جميلا !

دوران : لعل في سخريتك شيئا من الحقيقة ، ولكنه، كما أتذكره ، لم يكن مثلكن اليوم .

اديل : هل تتكرم بأن تستقبل بنفسك السيد انطونيو حين يأتي ليتناول هنا قهوته من غير خبز ؟ اواه ، ليت امي ما تزال على قيد الحياة ! فقد كانت تستطيع أن تجد وسيلة لانتشالنا من هذا الوضع !

دوران : كان لامك ، في الواقع ، مميزاتها .

اديل : ومع ذلك فأنت لم تكن ترى الا أخطاءها .

دوران : ها أنا اسمع ضجة ... هذا هو السيد انطونيو حتما . انسحبي فأنا اريدان اكلمه .

اديل : لعل من الافضل ان تنسحب أنت فتمضي لتقترض شيئا من المال كي نتجنب الفضيحة .

دوران : لقد اقترضت المال طوال عشر سنوات . ولم يعد في استطاعتي ان اقترض فلسا واحدة (فترة) فليتهدم كل شيء دفعة واحدة ، كل شيء !... كي ننتهي من ذلك على الاقل !

اديل : كي ننتهي من ذلك ! يمكنك أن تقول : كي انتهي ! ولكن ها أنت لا تفكر فينا قط !

دوران : اذن فأنا لم أفكر فيكن قط ؟ قط ؟

اديل : أتمن علينا بالدراسة التي اعطيتنا اياها ؟

دوران : لا أعدو الاجابة على اتهام ظالم ! والان ، امضي ! فأنا الذي سيجابه العاصفة كالعادة .

اديل (بسخرية) : كالعادة !

تخرج

انطونيو (يدخل من صدر المسرح) : صباح الخير ياسيد دوران .

دوران : أني مثل هذه الساعة المبكرة خرجت الى النزهة يا سيدي الضابط ؟

انطونيو : أجل ، لقد مضيت من جهة (كوللي) حيث رأيت اطفاء نار مدفأة . يا الله ! وبدت لي القهوة اكثر جمالا .

دوران : ان علي أن اسر اليك بأمر عسير جدا ... أرانا مضطرين لاغلاق المثوى ، بسبب نقص الموارد .

انطونيو : وكيف ذلك ؟

دوران : لا أكتمك أننا قد أفلسنا .

انطونيو : ولكن أليس هناك وسيلة ، يا عزيزي دوران، لمساعدتكم ... لاخراجكم من هذا الضيق الذي آمل ان يكون موقتا .

دوران : كلا ، لا سبيل الى ذلك ، فوضع المثوى قد تردى منذ عامين أو ثلاثة اعوام حتى أصبحت أؤثر ان يتهدم على ان اعيش ليل نهار فوق الحطب الملتهب وأنا أفكر في المستقبل .

انطونيو : أعتقد انك تنظر الى الامور نظرة شديدة السواد .

دوران : كيف تتجرأ على الشك في كلامي ؟

انطونيو : لانني أرغب في مساعدتك .

دوران : لست أطلب أية مساعدة . فلسوف يعلم البؤس اولادي على الاقل ، طريقة اخرى في العيش . ان حياتهم الراهنة تشبه الالهية الى حد بعيد . ان اديل تهتم حقا بالمطبخ ، ولكن ماذا تفعل الاخريان ؟ انهما تلعبان وتغنيان وتتنزهان وتتسكعان ، وما دام في المنزل كسرة من الخبز فهما لاتفعلان اي شيء .

انطونيو : لعل هذا صحيح ، ولكن الى ان تسوى القضية لا بد لنا هنا من شيء نأكله . اسمح لي بأن أبقى هنا شهرا وان ادفع لك مقدما اجرة اقامتي .

ذوزان : كلا ، اشكرك ، يجب على المرء ان يتابع طريقه حتى غايتها ، ولو اقتضى الامر ان ينزلق في البحيرة آخر الامر . لقد مللت من هذه المهنة التي لا تقيت صاحبها ولا تعود عليه الا بالمذلة . لقد ظل المثوى ، في الربيع الماضي خاليا ثلاثة أشهر . تخيل ذلك .. ثم جاءت اسرة اميركية انقذت حياتنا . الا انني رأيت صبيحة قدوم الاسرة الابن البكر ، على السلم يضم احدى بناتي – تيريز – ويحاول ان يقبلها . ماذا كنت تفعل لو كنت مكاني ؟

انطونيو (مرتبكا) : لست ادري .

دوران : أما أنا فأعرف ماذا كان يجب أن أفعل بصفتي والدا ... الا انني لما كنت والدا لم افعل ذلك . سأعرف في المرة التالية كيف اتصرف .

انطونيو : لهذا السبب ذاته عليك ان تفكر ، فلا تترك بناتك للمصادفة .

دوران : ايها السيد انطونيو ، انت شاب اشعر نحوه بتعاطف لا ادري له سببا ، ولكنني ارجوك رجاء حارا ألا تسيء الحكم علي أو على سلوكي .

انطونيو : اعدك بذلك يا سيد دوران ، ولكن اجب فقط عن سؤالي : هل أنت سويسري بالولادة ام لا ؟

دوران : أنا ... أنا من رعايا سويسرا .

انطونيو : أعرف ذلك ، ولكنني كنت أود أن أعرف هل ولدت في سويسرا ؟

دوران (بصوت مرتبك) : نعم .

انطونيو : لم ألق عليك هذا السؤال الا لانه يهمني... فأنا أريد أن أصفي ديوني ما دمت تقول ان عليك ان تغلق المثوى . لست أدين لك بأكثر من عشر فرنكات ولكنني أصر على عدم الذهاب قبل أن أراك وقد سويت أمرك .

دوران : لست متأكدا تماما من أنك مدين لي بهذا المبلغ ، فلست أنا الذي يمسك الحساب . ولكن اذا كنت اخطئت فأنت تتحمل مسئولية ذلك ، وهذا كل ما في الامر . والان سأمضي لاحضر الخبز ، وسنرى فيما بعد ...

يخرج دوران . تدخل تيريز مرتدية مبذلها ، شعرها مبعثر ، تحمل مصيدة .

تيريز : ها أنذا يا انطونيو ! ولكن خيل الي انني سمعت صوت العجوز .

انطونيو : نعم ، فقد خرج لتوه كي يحضر الخبز للقهوة ، أو هذا على الاقل ما قاله .

تيريز : آه ، ألم يكن قد احضر الخبز بعد ؟ لقد اصبح شخصا لا يحتمل فعلا .

انطونيو : أراك اليوم جميلة جدا يا تيريز ؛ الا ان هذه المصيدة لا تلائمك !

تيريز : هذا رأيي نفسه : هذه المصيدة اللعينة ! لقد أصليتها ولكنها لم تصطد أية فأرة منذ شهر . غير ان الطعم يقضم صباح كل يوم . هل رأيت ميمي ؟

انطونيو : كلا ، ان هذا القط القذر الذي يتسكع دائما قد جنبني اليوم رؤيته .

تيريز : أرجوك أن تتكلم بلطف عن الغائبين ، وان تذكر بالمناسبة نفسها ، أن على الذين يحبونني ، ان يحبوا قطي أيضا .

(تضع المصيدة على الطاولة ، وتتناول وعاء فارغا من تحت الطاولة وتنادي)

اديل ! اديل !

اديل (تظهر من عتبة الباب الذي يفضي الى المطبخ) : ماذا تطلب « السيدة » بهذا الصوت الآمر ؟

تيريز : انها تطلب حليبا لقطها ، وقطعة من الجبن لجرذانك .

اديل : هيا فاحضري هذه الاشياء بنفسك !

تيريز : أترين من اللباقة مخاطبة « السيدة » بهذه الطريقة ؟

اديل : انني اعاملك كما تعاملينني ، بل انت تستحقين مزيدا من القسوة ... فحين افكر في انك تظهرين هكذا ، مبعثرة الشعر ، في اي مظهر كان ، أمام جميع الناس !

تيريز : جميع الناس ! ليس هنا الا اناس الفنادق ... انطونيو ، اطلب الى العمة اديل بلطف ، وستحصل على الحليب

ليمي (يتردد انطونيو) حسن ، أن تطيع ؟

انطونيو : كلا .

تيريز : ما معنى هذا الكلام ؟ هل تريد ان استعمل السوط ؟

انطونيو : صه !

تيريز (مرتبكة) : ماذا يحدث ؟ هل تريد حقا ان تذكرني بوضعي وخطأي وضعفي ؟

انطونيو : كلا ، انني أعنى فقط بتذكيرك بوضعي وخطأي وضعفي .

اديل (تتناول الوعاء (: لماذا تتخاصمان يا صديقتي ؟ هيا تصالحا وسأحمل لكما قهوة طيبة في الحال .

تعود الى المطبخ .

تيريز (باكية) : هل مللت مني يا انطونيو ، وهل تتمنى أن تتركني ؟

انطونيو : لا تبكي ، فان عينيك ، حين تبكين ، يصبحان في منتهى القبح .

تيريز : هذا اذا لم تصبحا جميلتين كعيني آنيت..

انطونيو : حسنا ، اراك تهتمين بآنيت الان ! اصغي الي ، ولست امزح في هذا الموضوع ، اني لارى ان القهوة تستلزم زمنا طويلا للوصول الى هنا !

تيريز : أي زوج لطيف ستكون في المستقبل ، اذا كنت لا تستطيع ان تنتظر القهوة فترة قصيرة !

انطونيو : وأية زوجة ودودة ستكونين ، انت التي لا تستطيعين ان ترتكبي الحماقات دون أن تزعجي زوجك !

تدخل آنيت مرتدية ثيابها ، ومسرحة شعرها .

آنيت : لقد باكرتما على الخصام !

انطونيو : هل ارتديت ثيابك يا آنيت بهذه السرعة ؟

تيريز : نعم ، ان آنيت لكاملة من جميع النواحي ! ثم أليس لها افضلية كونها اكبر مني ؟

آنيت : أما أنت ، فاذا لم تغلقي فمك !

انطونيو : هيا ، هيا ، كوني لطيفة يا تيريز !

يمسك بها ويقبلها ، يظهر على العتبة السيد دوران الذي يتوقف مشدوها .

دوران : ما معنى هذا ؟

تيريز (وهي تتملص) : ماذا ؟

دوران : هل خدعتني عيناي ؟

تيريز : ماذا رأيت ؟

دوران : رأيت انك سمحت لهذا الغريب بأن يقبلك .

تيريز : ليس هذا بصحيح .

دوران : كيف تجرؤين على الكذب بهذا البرود ؟

تيريز : يحق لك ان تتكلم عن الكذب انت الذي تكذب باستمرار علينا وعلى الناس جميعا اذ تزعم انك سويسري ، بينما انت في الحقيقة فرنسي .

دوران : من قال لك هذا ؟

تيريز : امي !

دوران (لانطونيو) : حضرة الملازم ، بما ان امورنا قد سويت ، فأنا ارجوك ان تغادر المنزل فورا والا ...

انطونيو : والا ؟

دوران : سيكون عليك ان تختار السلاح .

انطونيو : اود لو اعرف اي سلاح ستختار . الهرب حتما ؟

دوران : كلا ، اذا لم اختر العصا فسأستعمل بندقيتي التي استعملتها في الحرب الاخيرة .

تيريز : كأنك حاربت فعلا ، أنت أيها الفار !

دوران : أهي « امك » ايضا التي اعطتك هذه المعلومات؟ واذا كنت لا استطيع ان احارب جثة فأنا على عكس ذلك استطيع ان اجهز على كائن حي واحيله الى جثة .

يرفع دوران عصاه ويهجم على انطونيو ، ولكن تيريز وآنيت يلقيان بأنفسهما بينهما ويفرقانهما .

آنيت : فكر قليلا فيما تفعل !

تيريز : ستكون نهايتك على خشبة الاعدام .

انطونيو (متراجعا حتى الباب) : الوداع يا سيد دوران ! احتفظ باحتقاري وبالعشر فرنكات!

دوران (يتناول قطعة من الذهب من جيب سترته ويرمي بها الى انطونيو) : فلتلاحق لعنتي ذهبك أيها الاذعر !

تيريز وآنيت (يمسكان بانطونيو) : لا تذهب ! لا تذهب ، فسوف يقتلنا !

دوران (كاسرا عصاه) : ان من يعجز عن القتل لجدير بالموت !

انطونيو : الوداع ! ولكن ثق بكلامي ، ستأسف على آخر جرذ في السفينة التي تغرق !

تيريز (لدوران) : ان لك طريقة عجيبة في معاملة نزلائك ! وليس غريبا ان رأينا المثوى يتهدم !

دوران : طريقة عجيبة ! مثل هذا النزيل ! ولكن قولي لي يا تيريز يا ابنتي ... (يأخذ رأس ابنته بين يديه) نعم ، قولي لي يا ابنتي العزيزة ، هل خانتني عيناي منذ لحظة ام انك كذبت علي ؟

تيريز (عابسة) : ماذا ؟ ماذا تريد ان اقول لك ؟

دوران : تعرفين جيدا ماذا اريد ، اواه ، ربما لم تكن القضية في حد ذاتها بريئة جدا . كلا ما يشغلني هو أن أعرف هل استطيع ان أثق بحواسي .

تيريز : هل لك أن تغير الموضوع ؟ بل قل لنا ماذا سنأكل وماذا سنشرب اليوم ... ثم ليس صحيحا انه قبلني .

دوران : ليس ذلك صحيحا ؟ ومع هذا فأنا اقسم انني رأيته ...

تيريز : أثبت ذلك !

دوران : كيف اثبته ! بشاهدين او بشرطي ؟ (لآنيت) انيت يا صغيرتي ، هل تريدين ان تنبئيني بالحقيقة ؟

آنيت : لم أر شيئا .

دوران : هذا جواب حسن ، لان على الاخت الا تتهم أختها ! ما اشبهك اليوم يا آنيت بأمك !

آنيت : لا تتحدث عن امنا بسوء ! فلا بد انها ما تزال هنالك !

تدخل اديل حاملة قدحا من الحليب .

اديل (تضع القدح على الطاولة ، لدوران) : ها هو ذا حليبك ، أين الخبز ؟

دوران : لا خبز اليوم يا بناتي . أما غدا فستحصلين على الخبز ، لقد حصلتن عليه حتى اليوم .

تيريز (تسحب من امامه قدح الحليب فجأة) : لن تحصل على شيء انت الذي ترمي المال وتترك بناتك يمتن جوعا !

اديل : لقد رمى البائس بالمال ! كان علينا ان نضعه في مستشفى المجانين ، يوم قالت لنا امنا انه أصبح يستحق ذلك . (تخرج ورقة) ها هي فاتورة اخرى ! لقد وجدتها تحت باب المطبخ .

ينظر دوران الى الفاتورة ويرتجف ، ثم يملأ الكأس ماء ويشربه ، واخيرا يجلس ويشعل غليونه .

آنيت : حين يتعلق الامر بالتدخين فانه يجد المال !

دوران (متعبا ومستسلما) : يا بناتي العزيزات ، ان هذا التبغ لم يكلفكن اكثر من الماء ، انه هدية قدمت الي منذ ستة شهور ، فلا تغضبن هكذا بلا مبرر .

تيريز (تأخذ منه الكبريت) : وهكذا فانك لا تبدد الكبريت .

دوران : لو كنت تعلمين ، يا تيريز ، كم بدد من كبريت لاجلك ، حين كنت أنهض في الليل كي أرى هل سقط عنك غطاؤك وأنت نائمة ! لو كنت تعلمين يا آنيت كم مرة اعطيتك الماء خفية ، حين كنت تبكين من العطش ، بينما كانت امك ترفض ان تسقيك الماء بحجة ان الماء غير مفيد للاطفال !

تيريز : اننا لا نبالي بالذكريات القديمة ! ثم انك تقوم بواجبك ، لقد قلت ذلك بنفسك غير مرة ...

دوران : كان ذلك واجبي ، لا شك ، ولكنني كنت أفعل فوق واجبي .

اديل : اذن فما عليك الا ان تتابع ذلك ! والا فلست ادري ماذا سيحل بنا . ثلاث فتيات دون سند او معيل ، ودون اي سبيل من العيش! هل يمكن تعرف الام يمكن ان تدفع بنا الفاقة ؟

دوران : لقد قلت ذلك منذ عشر سنوات ، ولكن لم يشأ أحد ان يصغي الي ، ولقد تنبأت منذ عشرين عاما بأن هذه الساعة آتية الا انني لم استطع ان احول دون قدومها . لقد ظللت المكبح الوحيد على المنحدر ، ورأيت المنحدر يندفع الى الهاوية ولكنني لم استطع تجنبه .

تيريز : فأنت الذي شربت اذن حليب القط حتى آخر نقطة !
دوران : نعم انا الذي شربته !
آنيت : ولعله هو ايضا الذي اكل الطعم في المصيدة .
دوران : نعم هو الذي أكله !
اديل : يا للحيوان القذر !
تيريز (ضاحكة) : وماذا لو كان فيه سم ؟
دوران : تريدين ان تقولي : ليت فيه سما !
تيريز : ثم ماذا ؟ لقد كدت القول بأنك ستطلق على نفسك الرصاص ! حقا انك لم تطلق الرصاص قط .
دوران : « لماذا لم تطلق الرصاص على نفسك » هذا على الاقل قول صريح . حسن . هل تعرفين لماذا لم اطلق الرصاص على نفسي ؟ لكيلا تضطررن الى ان ترمين بأنفسكن الى الماء يا بناتي العزيزات . اواه . اذكري ، اذكري شتيمة اخرى ... يبدو لي ذلك كأنني اصغي الى صوت الموسيقى . والى انغام مألوفة ترجع الى عهد قديم سعيد !
اديل : تيريز كفانا كلاما لا طائل تحته ! اصنع شيئا مفيدا بدلا من ذلك ! اجل ، افعل **شيئا ما !**
تيريز : هل تعرف ماذا يحدث لو أنك تركتنا على **هذا النمو ؟**
دوران : ستنزلقن الى العار أليس كذلك ؟ كانت تلك حجة امك الكبرى حين كانت تبدد المال في شراء أوراق اليانصيب !
اديل : اصمت ولا تشتم ذكرى امنا المحبوبة !
دوران (على حدة ، متلجلجا) : ان شمعة تحترق في هذا المنزل : وحين تذوب كلها فسنبلغ الهدف ، ومن ثم يأتي الاعصار بضجة عظيمة . اجل ! كلا ! (تهب الريح ، وتحتجب السماء ، يقفز دوران من كرسيه ، لاديل) : اطفئي الفرن بسرعة فالاعصارات !
اديل (تنظر في عيني دوران) : ليس هناك من اعصار !
دوران : اطفئي الفرن ، لأنا لن نقبض شيئا من التأمين اذا اشتعلت النيران . قلت لك اطفئي الفرن ، اطفئيه !
اديل : لست افهم معنى كلامك .
دوران (ينظر بدوره الى عينيها ، ويمسك بيديها) : اطيعيني ، وافعلي ما قلت لك ! (تتملص اديل منه ، وتمضي الى المطبخ تاركة الباب مفتوحا . دوران لتيريز وآنيت) : اصعدا واغلقا النوافذ يا فتاتي ، واحكما اغلاق المدافيء أيضا ! ولكن هلما فقبلاني قبل ذلك ، لانني سأسافر كي احصل لكما على المال .
تيريز : هل تظن انك واجد المال ؟
دوران : اجل ، فلدي وثيقة تأمين على الحياة ، ويمكنني أن أحصل على المال بواسطتها .
تيريز : وما مقدار **المال ؟**
دوران : ست مئة فرك ان انا بعتها ، وخمسة آلاف فرنك اذا مت (تنظر اليه تيريز متضايقة) قولي لي يا ابنتي ... لا ، لنكف عن القسوة التي لا فائدة منها . تيريز ، هل بلغ بك التعلق بانطونيو انك ستصبحين تعسة اذا ما فقدته ؟
تيريز : اجل .
دوران : تزوجي منه اذن بشرط ان يكون محبا لك ولكن لا تسيىء معاملته والا فستشقين كثيرا ، وداعا يا ابنتي العزيزة ! (يضمها بين ذراعيه ويقبلها على خديها .)
تيريز : ينبغي ألا تموت يا أبي ؟
دوران : ألا تسمحين لي بالحصول على السلام ؟
تيريز : اجل ، اجل ، اذا كنت تريد ذلك ! (فترة) اغفر لي يا ابي المرات التي أسأت فيها نحوك !
دوران : لا اهمية لذلك يا ابنتي !
تيريز : كلا ، لقد كنت أسوأ من الجميع .
دوران : كنت أتألم منك أقل مما يجب لانني كنت احبك اكثر من سواك . لماذا كنت احبك اكثر من اخواتك ؟ لست ادري لذلك سببا . هيا ، هيا ، اغلقي النوافذ .
تيريز : اليك الثقاب يا ابي ، وها هو ذا الحليب .
دوران (مبتسما) : **يا ابنتي !**
تيريز : ماذا استطيع ان افعل ؟ ليس لدي شيء آخر اعطيك اياه .
دوران : لقد منحتني كثيرا من الفرح يوم كنت فتاة صغيرة حتى انك لم تعودي مدينة لي بأي شيء . أما الان فامضي ! كلا ، بل اسمحي لي قبل ذلك بنظرة عذبة كما كنت تفعلين في الماضي !

تبتعد تيريز ، ثم تتوقف وتلتفت فجأة وترتمي بين ذراعي أبيها .

دوران : امضي ، امضي يا ابنتي ، فكل شيء الان على ما يرام . (تخرج تبريز راكضة .) الوداع يا آنيت .

آنيت : ماذا ؟ أأنت مسافر ؟ انني لا أفهم ...

دوران : سأذهب .

آنيت : ولكنك ستعود ، أليس كذلك يا أبي ؟

دوران : ليس هناك من يستطيع أن يقول انه سيعيش الى يوم غد . وعلى كل حال نستطيع ان نودع بعضنا بعضا .

آنيت : الوداع اذن يا ابي . ولتكن رحلتك سعيدة ! لا تنس ان تحضر لنا شيئا معك . فقد كنت تفعل ذلك دائما .

دوران (بصوت خافت) : اذن فأنت تذكرين ذلك . ومع هذا فها قد مرت فترة تخرج طويلة لم أشتر فيها شيئا لبناتي الوداع يا آنيت: (بصوت اكثر خفوتا) من اجل الخير والشر من اجل الكبير والصغير لقد زرعت ... وغيري جنى . (تدخل اديل)، اصغي الي الان وحاولي ان تعي كلامي . اذا كنت احدثك حديثا مكشوفا فذلك كي احافظ عليك . سيمسك الندم فيما بعد اذا فهمت اليوم أقوالي اكثر مما ينبغي ان تفهميها . ليهدأ بالك فقد صعدت الفتاتان الى غرفتهما فوق ، ولكن اسأليني قبل كل شيء « هل عندك وثيقة تأمين على الحياة ؟ » ماذا تنتظرين ؟ هيا !

اديل (مترددة) هل عندك وثيقة تأمين على الحياة ؟

دوران : كلا ، كان عندي واحدة ولكنني بعتها منذ زمن بعيد لانني كنت اظن ان شخصا ما ينتظر استحقاق الدفع بنفاد صبر . ولكن عندي مقابل ذلك وثيقة تأمين ضد الحريق . ها هو ذا الصك . حافظي عليه جيدا . والان سألقي عليك سؤلا بدوري : هل تعرفين ما عدد الشمعات التي تحتويها علبة ثمنها خمسة وسبعون قرشا ؟

اديل : ست شمعات .

دوران (مشيرا الى علبة الشموع) : كم شمعة فيها ؟

أديل : خمس شمعات فقط !

دوران : حسن ، ذلك بأن السادسة فوق ، بالقرب من ...

اديل : ياالهي ! ...

دوران (يخرج ساعته) : سيحترق المنزل كله خلال خمس دقائق .

اديل : كلا !

دوران : بلى ! هل تلمحين ضياء آخر في الظلمات ؟ كلا ! اذن ؟ ان هذا من اجل المصالح . والان ، ان لدي سؤالا آخر ، لو أن السيد دوران ترك هذا العالم (بصوت منخفض جدا) كمشعل حريق فأية اهمية لذلك ؟ أما ما يجب أن يعرفه أولاده فهو انه عاش دائما عيشة شريفة . لقد ولدت في فرنسا حقا ، ولكن هل كنت مضطرا لان أقول ذلك لكل من أراه ؟ لقد وقعت في حب من اصبحت فيما بعد زوجتي قبل بلوغي سن الجندية . ولكي نتزوج فقد جئنا لنقيم هنا ، واتخذنا الجنسية السويسرية ، وحين اشتعلت نيران الحرب الاخيرة ـ خشية ان احمل السلاح لاحارب وطني ـ تطوعت في الجيش وذهبت أحارب الالمان . انني لم أهرب من الجندية كما ترين ، وان امك هي التي اخترعت هذه القصة !

اديل : ان امي لم تكذب قط !

دوران : نعم ان جثتها تعود فتنتصب بيننا . ليس في نيتي ان اتهم ميتة ولكنني اقسم لك انني اقول الحقيقة . هل تسمعين ما اقول ؟ أما فيما يتعلق بمهركن انتن الثلاثة ، فاليك قصته . ان امك ، نتيجة اسرافها ومضارباتها السخيفة قد أتت على ارثي الشخصي كله حتى اضطررت الى ان اترك وظيفتي وافتتح هذا المثوى . ثم خصص قسم من ارثها لتعليمكن . أتعتقدين ان في هذا تبذيرا ! اذن فقد كانت تكذب في هذا الموضوع ايضا .

أديل : لقد قالت امي اشياء غير هذه وهي على فراش الموت .

دوران : اذن فقد كانت تكذب وهي على فراش الموت كما كذبت طوال حياتها ... ولقد لاحقتني

هذه الاكاذيب كأنها الاشباح . تخيلي قليلا الآلام التي سببتموها لي عن غير قصد ! وخلال مدة طويلة جدا ! لقد التزمت الصمت لانني لم أشأ ان اثير البلبال في نفوسكن الفتية او احملكن على الشك في امكن . ثم ألم أحمل أنا هذا الصليب طوال حياتنا الزوجية ؟ اجل ، لقد حملت على كتفي دائما اخطاءها وتحملت نتائج الاخطاء كلها ، حتى انتهى بي الامر الى ان اظن نفسي مذنبا . واعتقدت هي بسرعة انها بريئة . ثم اعتقدت انها ضحية . لقد اعتدت ان اقول « هذه غلطتي » حين كانت ترتبك في مشكلة ما ، وعند ذاك كانت تلقي على عاتقي تبعة خطئها ... وبالاضافة الى ذلك فقد راحت تستدين امام سمعي وبصري ، ثم اخذت تكرهني كما تكره اللادين حتى انتهى بها الامر الى ان تحتقرني كي تزعم لنفسها انها خدعتني وانها كانت اقوى مني ، وعلمتكن ان تكرهنني ، لانها كانت بحاجة الى سند حتى في ضعفها . ولقد املت ان يزول بموتها الالم الذي سببته لي ، ولكن الالم ظل دائما وراح يقرضني كالداء . ولهذا فحين اردت ان اقوم عادات هذا المنزل ، كنتن تعارضنني بامكن . « امنا قالت ذلك ! » ومعنى ذلك انه صحيح ! « كان من عادة امنا ان تفعل ذلك » : ومعنى هذا انه عمل جيد ! ولم اكن بالنسبة اليكن الا شخصا مسكينا بينما كنت اتصرف تصرفا صالحا ،وشخصا بائسا ، بينما كان المنزل يتهاوى الى الدمار بسببكن .

اديل : ليس من النبل في شيء أن تهم ميتة لا تستطيع ان تدافع عن نفسها !

دوران (متحمسا ، بسرعة) : لم أمت بعد ، ولكنني سأموت عما قريب . هل تريدين ان تدافعي عني ؟ لا ، لا داعي لان تكلفي نفسك هذا العناء ، ولكن دافعي عن اختيك على الاقل ! فكري فيهما ! احيطي تيريز ، يا اديل ، بحنو الامهات . انها اصغركن سنا واكثركن حيوية ، وهي سريعة الى الشر كما انها سريعة الى الخير ، لا شك في انها طائشة ، ولكنها عذبة ، عذبة جدا ! حاولي أن تزوجيها سريعاً اذا استطعت ذلك ! (فترة) لقد بدأت تنبعث رائحة القش المحترمة !

اديل : فليحمنا الله !

دوران (يفرغ كأس ماء) : سيفعل ذلك . ابحثي لآنيت عن وظيفة معلمة كي يتاح لها ان تتآلف مع المجتمع وتجد بعض العلاقات الصالحة . ستقبضين انت المال وستقومين على انفاقه . ولكن لا تسرفي في الاقتصاد ، عاملي اختيك معاملة كريمة كي يتاح لهما الظهور في المجتمع – ولا تنقذي شيئا ما عدا اوراق الاسرة الموجودة في مكتبي ، في الوسط ، تحت الطاولة الصغيرة – اليك المفتاح ! لقد اخذت وثيقة التأمين على الحريق (ينزل الدخان من السقف) والان لم يعد هناك ما ننتظره وطيلا ، بعد لحظة ستدق اجراس الانذار في (سان فانسوا) ولكن عديني أولا بشيء واحد : لا اريد ان تعرف اختاك ما فعلت من اجلكن : والا فلن تعرفا ابدا طعم الهدوء (يجلس على الطاولة) كلمة اخرى : لا تتلفظن بكلمة سيئة عن امكن ! عندي صورتها في المكتب ... كلا ، لم تعرفنا قط ، لانني اقدر ان روحها كانت تعود غالبا الى هذا المنزل . وقولي لتبريز الوداع من قبلي واطلبي اليها ان تسامحني ! لا تنسي ان تبتاعي لها اثوابا جميلة ! انت تعرفين كم تحب هذه الاشياء ، والى اين يمكن ان يقودها هذا الحب !... قولي لآنيت ...

يسمع صوت جرس من بعيد . يزداد الدخان . يسقط السيد دوران على الطاولة ورأسه بين يديه .

اديل : النار ! النار ! ابي ! ما بك ؟ هل ستموت بين اللهيب !

(يرفع دوران رأسه ويدفع الكأس التي أمامه جهرا) هل تناولت ... السم ؟

دوران (بعد ان هز رأسه موافقا) : الوثيقة معك أليس كذلك ؟ (فترة) قولي لتيريز ولآنيت ... تعود رأسه الى السقوط . يسمع صوت الجرس من جديد . ضجة في الخارج .

ستار

هـــذا الشـعر

اسماعيل عامود

نص المقدمة التي قدم بها الاستاذ اسماعيل عـــامود لديوانه التســـكع والمطـر .

« قيمة الشعر .. أي شعر ... تقاس بقدر تفاعله مع الحياة التي يعبر عنها ... وبقدر صراع الشاعر للحياةالتي يعيشها !!»
« ا . ع »

في بلادي .. جدول رخو ، من أجل التعـريف بالشعر الحديث ..!

وفيها نقمة على هذا الجديد من الكلام الشعري المرسل ، أو المنثور المشرق الذي ينبع من صميم الشباب ، في جيلنا الطالع ؛ المتفتح على الوجود الجديد ، بكـل أعصابـه .. وعيونـه .. ودمائه .. وافكاره .. وعقلياته ..!

وسيطول الجدل ، وسيرتفع النقـاش الى فوق الصراخ .. وسيظل بالطبع رخوا ، لا يثبت في ارض .. وستمر أيام .. بل أزمان ، لا يصل فيها الحديث الى التعريف الصحيح المجدي .. ما دام ثمة رواسـب تقليدية قديمة في ذاتية الاشخاص في شرقنا العربي ، تشدهم الى تحت .. لتقذف بهم اخيرا في هوة الظلام .!

والشعر كالحياة .. كلما تطورت هذه الجغرافية الانسانية .. تطور الشعر معها .. لانه يستمد قوتـه ويأخذ معينه من أصله الام ..!

وما دام كذلك .. بلا شك أو جدل .. فهو اذن ، في تسلق دائم لمدارج الرقي والحضارة والمجد ..!

فاذا زعم احد من المحنطين ، عن هـذا التطور الحياتي .. الشعوري .. بأنه مخالف للذات الانسانية ، وبأنه حرب على اللغة والتراث .. جاز لنا ان ننعتـه بالجهل الاكيد لمعالم الحياة الخيرة المبدعة ..!

ذلك لان انسان الامس الغـابر .. بحضـارته العمرانية الحجرية .. ونفسيته الهادئة .. وآمـاله البطيئة .. وابعاده المتثائبـة ..! هو غير الانسـان الحاضر المستمر .. برقيه الاختراعي ، وعقليته المتطورة ، ونفسه المنفتحة .. وروحه القلقة .. وامانيه التـي لن تعرف المسافات ولا الحدود ..!!

انسان اليوم .. يبحث .. يغامر .. ينفعل .. يقطع الآماد بلحظات .. يقف تارة بحزن امام احداثه.. كما يقف في نفس الوقت منتصرا تجاه رغباته ..!

انسان اليوم يتسلق الدنيا .. يفكر .. يتأمل ، يحطم القيود .. يتمرد على ذاته .. يبدع للانسانيـة كل خير .. ويكره انسانيته لانها تعذبه ، ترغمه على الحيرة .. انه يحمل اعباء كل وجوده ...!! اختصاصه ان يقبض كل شيء ليطوره .. مهما يكن الثمن ..!

ولذا ، فان الشاعر اليوم .. شاعر هـذا العصر المتوتر ، المائل لابداع الفكر .. وتصميم العقل .. وعمل اليد في الحديد والآلة .. والهواء .. هو شاعر الحياة الجديدة .. بكل حزنها وقلقها وتفتحها ..!

انه انسان جديد حقا .. انسان يحاول قسرا ان يلج أعماق الذات البشرية بعد تجاوز أطرافها القديمة بمسحة من روحه الجمالية والحقيقة الخيرة ..!

من أجل هذا .. ماذا علينا ان نطلب منه الان..؟

أنطلب منه أن يفكر كما كان يفكر سلفه منـذ آلاف السنين .. وهو على ظهـر ناقته يقطع البيـد الفساح أياما وأياما ، ليصل الى غايته .!؟؟

لقد اختلف الانسان حتى في التـركيب العضوي - بعض الشيء - فكيف لا يتغير التـركيب الهـرمي للقصيدة .؟؟

زمن السلطان .. والمنابر ، قد ولى الى غـير رجعة .. وأيام التهاني والمناسبات قد اندثرت في حفر العقليات البالية التافهة .! والدجل .. والكلام المرقع .. والشعر المحشو بالنفايات من التعابير المقوقعة الجوفاء ، والمعاني المقعرة .. الفارغة .. كل هذه المومياءات قد تحطمت .. أمام هدير الحياة الجديدة .. الحيـاة القادمة من صوب العالم الجديد .. والفكر الجديد .. والشعور الانساني الجديد .!

أنا هنا .. لا أريد أن أتفلسف .. ولا أنزع بالدعاوى الكاذبة الى فتح ما .. كما يعمل بعضهم . وانما أريد الكلام الحق الذي ينبع من ذاتي وحدها هنا .. ذلك بأن على شعرنا العربي أن يتطور مهما يكن الثمن .. على حساب أي الحالين : الشكل ، أو الوزن .. على شعرنا أن يطرق أبوابا جديدة ، ليطل على أبعاد وعوالم حديثة ؛ ان يعبر بحرية وتمرد عن الانسان العربي الحاضر .. أن يهدم .. ليبني .!! لا أن يقف أمام القافية القاسية كأنها الجلاميد مذعورا ..؟

القافية .. تلك الاحجار التي يسرقها معظم الشعراء من المعاجم لبناء ما يسمى بالقصيدة الهندسية المكرورة .!

علينا أن نكتب بدماء جديدة تخفق في انساننا الحاضر الذي يعلو على الارض .. الارض القديمة الخراب .! علينا أن نبدع عقليات متطورة ، مرنة مشرقة ، ترتفع بمشاعرنا الى ما فوق الذرى . !! وبمعنى أوضح ، علينا أن نصنع أدبا جديدا بروح جديدة ، وعقلية جديدة .

علينا أن لا نختلف - بالنسبة للقصيدة الحديثة - على الشكل والوزن والقافية في تحديد قيمتها الادبية ومعرفة مستواها الفكري .. بل يجب أن تنساق الى المضمون . المضمون قبل كل شيء .. والى قوة النبضات الحياتية الموحية فيها ..! ثم تأثيرها الفعال في دفع الحياة الى الامام ثم تبديل المشاعر الانسانية القديمة لصوغها من جديد في بوتقة صادقة ملونة .!! اي ان نستطيع ابدال « الديكورات » العتيقة لمشاعرنا التقليدية .. بمناظر حديثة خلاقة - ان صح التعبير - ذلك لان الغاية من القصيدة - اية قصيدة في اية لغة - انما هي غاية فكرية ، تثقيفية ، عميقة ، ممتعة ، وليست هي الرقص على ايقاع الرجز او الرمل .. او السير على تهدج الطويل ورتابة المتقارب .. وتثاؤب المجتث لا أدري!!؟

ان غاية كل عمل فكري وفني كما هو متفق عليه ومعروف ايجاد حياة أفضل ، زاهرة ، مرنة ، تتحرك في وجودها الانساني ، لتحيا موفورة في ذاتية مبدعة مطمئنة لا أن تعيش في القعر تئن وتنشج .!!؟

وبعد .. فلقد قلت شعرا موزونا في ديوان اول « من أغاني الرحيل » وكتبت نثرا وجدانيا في ديوان ثان « كآبة » وما أزال في سبيلي أميل الى هنا والى هناك .

ولكنني وجدت بعد التجربة والمعاناة ، أن هذا الكلام في « التسكع والمطر » هو ألصق بي من الكلام فيما خطته ريشتي من قبل .! وليقل النقاد ما يقولون .؟ وليتطاولوا ما يتطاولون ..! فذلك عندي سيان ما دمت أعرف نفسي ، وأرعى الحقيقة حيثما أجدها .

أجل ، هو نفسي ، هو روحي ، هذا الكلام المتحرر المرد في هذه المجموعة التي بين يديك .. بل هو ذاتي الشاردة التي تبحث عن الانسان ... عن الشاعر الحقيقي ..!

ان « التسكع والمطر » هو حالي في مدينتي .. الواقعية بكل سخافاتها القديمة .. وكل منطلقها الجديد الحلو .. !!

ولك أن تسمي هذا الكلام ما شئت .. لك أن تسميه شعرا ؟ أو نثرا ؟ أو سخافة ... سمه ما شئت.. ما دمت معي ايمانا بالتقدم والرقي .

بيد أنني من هنا .. سأبني مدينتي الشاعرة فوق جبال القمر ، أشرف على الارض الترابية الخربة .. وأنا متكىء على هذا الشعر المتحرر من ربقة عبودية عصور محنطة .. وسنين جافية مرملة ... لن تعود .!

وليكن بمعرفتك أيها القارىء الحبيب .. أن الشعر حياة ... لا يمكن لاي متفلسف أو ناقد أن يلملم أبعادها ... أو أن يمسك على جوهرها ... أو أن يحبسها في مدرسة .!!

الشعر حياة .. انه عالم قائم ... في الهنيهات الخصبة المرهفة .. نحس به فتمتصه الشرايين بعطش صيفي حار ..

ولهذا فأنت تطالعني هنا في هذا الكتاب المتواضع.. وكأنك تتسكع معي في دروب الحياة .. وعلى مشارف القمر .. فان كان ذلك .. كذلك .. فهذا حسبي ... والا فارم بالكتاب في فم الموقد .!

والى اللقاء ...!

اسماعيل عامود

المستشار اديناور يوجز سياسة المانيا بكلمتين : « العمل ، السلام »

القى المستشار اديناور خطابا في البرلمان بمناسبة افتتاح دورته الحالية ، اوجز فيه سياسة حكومته بكلمتين : « العمل والسلام » •

وبعد ان استعرض وضع المانيا وتطورها منذ عام ١٩٤٩ حتى هذا التاريخ ، اشار رئيس الحكومة الفيدرالية الى الازدياد الذي سجله الانتاج الاجتماعي ، بنسبة ثلاثة اضعاف ، خلال هذه الفترة ، كما اشار الى سطور التجارة الخارجية التي بلغت الان ـ ٥٠ مليار مارك الماني بالنسبة للصادرات و ـ ٤٠ ـ مليار مارك بالنسبة للواردات • ثم ذكر المستشار اديناور ان نصف مليون من دور السكن قد انشئت وسطيا في كل عام منذ ١٩٤٩ حتى ١٩٦١ وان مبلغ ـ ٤١ ـ مليار مارك انفق في حقل الخدمات الاجتماعية بالاضافة الى نقل الملكيات بطرق شرعية وسلمية ، على شكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث •

وقد وجه المستشار اديناور نداء ناشد فيه المتعهدين والعمال ان يستمروا في تعاونهم المجدي الذي يفيد منه الجميع وذلك حفاظا على مستوى العملة وحركة التصدير الناجحة المبنية على جودة الانتاج الالماني •

ان الاقوال القيمة التي ذكرها الزعيم الالماني لا تفسح اي مجال للشك في حرص المانيا ورغبتها الاكيدة في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والازدهار الاقتصادي اللذين احرزتهما في هذين الحقلين •

نحن لا نقبل التجزئة كأمر واقع

ولم يكن المستشار اديناور اقل حماسا عندما اكد في خطابه تصميم المانيا على الاستمرار في بناء سياستها الخارجية على مبدأ تقرير مصيرها • ذلك المبدأ الذي يعتبر الطريقة الوحيدة لحل مشكلة تجزئة المانيا • وقد قال الرئيس بالحرف الواحد :

« نحن نرغب من صميم قلبنا ان نعيش في وفاق مع الاتحاد السوفياتي • ان المظهر الانساني لمأساة التجزئة هو في نظرنا اكثر اهمية من المظهرين السياسي والوطني لهذه المأساة •

واذا ما اخذنا هذا الموضوع بعين الاعتبار ، امكن معه الدخول في نقاش يتناول موضوعات اخرى كثيرة لا تزال معلقة • غير اننا لا نقبل البتة اعتبار تجزئة المانيا بمثابة الامر الواقع •

واكد المستشار اديناور من جديد ان الاعتراف على الصعيد الدبلوماسي بتجزئة المانيا تعتبره الجمهورية الاتحادية عملا غير ودي لانه يشكل في الواقع خرقا لمبدأ تقرير المصير •

وانتهى المستشار اديناور الى القول بأن المانيا التي اسهمت بتدعيم استقلال البلاد الافريقية والاسيوية تريد ان تعامل بالمثل بالنسبة لسيادتها التي لا تسمح ان يمسها كائن من كان •



ذهبت حبيبي فسالت دموعي — وضج الهوى في ثنايا الضلوع
وأقفر روضي فأين طيوري — تغني أناشيد قلب ولوع ؟
وأين النسائم تهمي عليا — لقد ضاع حبي وماتت شموعي
وأنظر حتى يسوح خيالي — بطيف حبيبي الرقيق الوديع
وأجلس انظر عل خيالا — يلوح وراء الستار الجزوع

★

ذهبت وكيف أعيش حياتي — وحيدا وكيف أأدي صلاتي ؟
صلاتي كانت اشاراتنا من — وراء الستار ومن أغنياتي
ومن ضحكات ومن لفتات — ومن غمزات ومن قبلات
ذهبت حبيبي فأضحى فؤادي — شريدا كذلك صارت حياتي
سأقبع قرب الستار طويلا — واحلم حتى تعود فتاتي

★

ذهبت ؟ أما كنت حقا حبيبي — أما كنت تشعر مثلي واكثر ؟
سقيتك خمري وهبتك عمري — وأنت ألم تسقني كأس كوثره ؟
لماذا ذهبت بدون وداع — أما خفت أن أتناسى واعثر ؟
برغمك أنت سترجع يوما — وتذكر ما كان منا وتسكر
وتبكي عيون بها نام حبي — وما كنت أدري بأني سأهجر

★ ★ ★

الشاعر.. موسى الطالقاني

بقلم : يوسف يعقوب مسكوني

يعد السيد موسى الطالقاني من صدور علماء الادب ومشاهير شعراء العراق في القرن الماضي ومن حاملي لواء النهضة الادبية في عصره وقد طرق فنون الشعر كافة فأجاد في كل باب حتى بلغ لحجة الصواب فبرز بين زملائه وفاز على اقرانه بعلمه وادبه ورقة شعره وشعوره فصار يشار اليه بالبنان في كل فضيلة ومكرمة جادت بها عاطفته السامية الجياشة حيث ابرزت لنا عبقريته ونبوغه في فن الشعر والادب . اما نسبه فهو ابو ياسين موسى بن السيد جعفر بن السيد علي حيث يصعد به هذا النسب الى علي بن ابي طالب (رض) . والطالقاني نسبة الى طالقان من بلدان ايران اشتهرت بمصايفها ينسب اليها الصاحب بن عباد على قول ياقوت صاحب معجم البلدان خرج منها علماء كثيرون كان قد هاجر جد الاسرة العالم الجليل القاضي جلال الطالقاني سنة ٩٧٣ هـ اي سنة (١٥٧٠ م) الى العراق وحط رحله في النجف الاشرف حيث اشترى دارا في محلة العمارة . ولد مترجمنا هذا في النجف الاشرف صبح الجمعة في الثاني والعشرين من من شهر صفر سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م) فنشأ نشأة العلم والشرف اذ كان والده العلامة الاكبر السيد جعفر الطالقاني من اعيان علماء عصره فتولى تربيته وتهذيبه وشمله برعايته وكان السيد موسى منذ صغره شديد الذكاء قوي الحافظة متوقد الذهن ففي العاشرة اتقن القراءة والكتابة ثم اخذ بدراسة مقدمات العلوم من النحو والصرف والمنطق والبلاغة والفقه واصوله على علماء عصره من اساتذة كالامام الشيخ مرتضى الانصاري وخاله الحجة السيد رضا الطالقاني والامام الشيخ مولى علي الخليلي ووالده فشهد له بعلمه وذكائه علماء عصره ومن خلفهم حتى يومنا هذا ولهم اقوال فيه(١) نذكر قسما منهم : ـ وقد احتوى

قسما بحمرة وجنتيه
وخمرة تجلى بفيه
ما عشت بعد بعاده
الا لوصل ارتجيه
قاض يجور بحكمه
لكن بروحي افتديه

وهكذا يسير في قصيدة قوامها ستة عشر بيتا . وله وقد نظمها في دارنا المعمورة : ـ

ما حنيني لرامة يا بن ودي
لا ولا للعذيب او شعب نجد

... الى آخر ذلك .

---

(١) فمن جملتهم العلامة البحاثة الكبير الشيخ علي آل كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٣٥٠ هـ) في كتابه (الحصون المنيعة في طبقات الشيعة وهو مخطوط ثم الحجة السيد مشكو الطالقاني المتوفى سنة (١٣٥٤ هـ) اما العلامة الاستاذ السيد علي علاء الدين الآلوسي المتوفى سنة (١٣٣٨ هـ) فقد قال في كتابه الموسم ب (الدر المنتثر في علماء وادباء القرن الثاني عشر والثالث عشر وهو مخطوط لدى الاستاذ الكبير المؤرخ عباس العزاوي المحامي في مكتبته الخاصة بخط المؤلف نفسه ما نصه :

شاعر خفيف الروح ابي النفس حسن المفاكهة جيد البديهة نشأ في بلدته النجف وهو بيت علم وشرف وبرع في الشعر وتنقل من نجد الى وهد ومن سهل الى وعر وكان متصلا بالعم الافخم السيد احمد شاكر افندي . ومما قاله فيه عام (١٢٩٦ هـ) وكان اذ ذاك قاضيا في كوت الامارة لواء من الوية العراق قوله : ـ

حتى م تشكر (شاكرا)
يا قلب لم لا تشتكيه
ما نلت هذا الوجد الا
منذ قد اولعت فيه

وبعد قول العلامة الشهير الشيخ جعفر افندي المتوفى سنة (١٣٧٠ هـ) في كتابه (الروض النضير في اعيان القرن المتأخر والاخير) المخطوط ثم قول الاستاذ الامام المحقق الشيخ اغا بزرك الطهراني في موسوعته (طبقات اعلام الشيعة) الجزء الثاني المخطوط المهدى اليه الديوان في طبعته الحديثة الانيقة ويليه المؤرخ الضليع الاديب اللبناني الكبير الاستاذ يوسف اسعد داغر صاحب المؤلفات العديدة واشهرها (مصادر الدراسة الادبية في

هذه الاقوال ديوانه الواسع الذي طبع مؤخرا بتحقيق واعتناء احد احفاده السيد **محمد حسن الطالقاني** فطبع احسن طبعة في شهر حزيران من السنة الماضية اي ١٩٥٧ م في اكثر من ٥٥٠ ص في مطبعة العزي الحديثة في النجف على ورق صقيل من القطع الكبير والشاعر موسى الطالقاني تعشق الشعر لا عن طريق التكسب بل لانه كان غنيا ولم يكن فقيرا ليحترفه وقد قال في هذا الصدد مادحا صديقه السيد **احمد شاكر الالوسي** هذا المطلع البديع والبيت الذي يليه ٠ —

لست ممن يرجو النوال فيمسي
في خضوع لسيد او لعبد
لا وجدي ووالدي ما نظمت
الشعر الا رجاء حب وود

وقد تأثر بشعر الشريف الرضي صاحب الديوان الكبير والقصائد العصم والعاطفة الجياشة كما انه كان بارعا في النشر كبراعته في الشعر وقد شارك في الادب الشعبي وله قصائد غر منها في الابوذية والموال وغيرهما

جزئين ضخمين يليهما ثالث ضخم ايضا) في رسالة رقيقة ارسلها الى طابع الديوان الاستاذ محمد حسن آل الطالقاني ثم تلاه الاستاذ المؤرخ عباس الغراوي المحامي هذا وجدت كلمة فقيد الشعر والادب المرحوم السيد ابراهيم الواعظ صاحب كتاب (الروض الازهر) و (خريجو مدرسة محمد) وغيرهما من الكتب والمقالات والمحاضرات كلمة نفيسة احببت درجها هنا لقصرها وجزيل بلاغتها قال المرحوم الواعظ (... فاني وجدت الطالقاني عليه الرحمة في شعره ونثره قد بز الاقران وحاز قصب السبق بين شعراء ذلك الزمان ٠ وقد كان في مدائحه وتهانيه وحكمه (متنبي) زمانه وفي رثائه (رضي) او انه ٠ وفي غزله فاق (ابن الاحنف) حيث تغزل (بفوز) ، لان (عباسا) اقتصر غزله بفوز ٠ وقد تجاوز الطالقاني في غزله فتناول هندا وزيدا ٠ وفي موشحاته فاق الاندلسيين وعلى رأسهم (ابن هاني) ٠ وقد سما على (الجاحظ) في نثره المرسل وعلى (الحريري) في تسجيعه وترصيفه ... الخ ٠ وعلى منواله نسج العلامة الجليل السيد محمد صادق آل بحر العلوم ثم الاستاذ الشاعر الاديب السيد الشيخ محمد علي اليعقوبي عميد جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف الاشرف وصاحب (البابليات) التي كشفت عن شعراء الفيحاء في الماضي القريب وهي لا شك صفحة ناصعة خدمت الادب خدمة جلى ٠ وغيرهم ممن يطول ذكرهم وقولهم في السفر الجليل وقو احتوى هذه الاقوال ديوانه الواسع ...

نجد امثلة فيها في ديوانه وقد كان ببراعته يشعر بالزعامة الادبية فنال بذلك مكانة اجتماعية يحسد عليها اما اخلاقه وصفاته فحدث عنها ولا حرج اذ يلتمس القارىء هذه الاخلاق والصفات في جوانب ديوانه وقصائده التي تنم على قائلها واحواله واخلاقه اما وفاته فقد كانت سنة ١٢٩١ هـ (١٨٨٠ م) في الطاعون الذي حدث حيث فتك بالناس فتكا ذريعا ففتك به في يوم الخميس ٢٣ شعبان من تلك السنة في مدينة بدرة وكان قد سافر اليها للاشراف على املاكه فنقل الى النجف الاشرف حيث دفن في مقبرة خاصة باسرته في وادي السلام فشيعه النجفيون والبغداديون من آل كبه والالوسي والحيدري وغيرهم اما آثاره فتبلغ ثمانية كتب مع الديوان (٢) وقد ترك اربعة اولاد هم السيد ياسين ومحمد تقي والسيد صادق وعبد الهادي الطالقاني ٠ اما شعره ففي المدائح يمدح عليا بن ابي طالب (رض) واولاده وآل النبي وآل اسرته الطالقانية وآل كبه وغيرهم (٣) ومن مراثيه قال يرثي الشيخ عبد الحسين

---

(٢) ١ — ديوان شعر من الراقي جمع بين السلامة والانسجام ٠
٢ — الرضاعية في مسائل الرضاع ٠
٣ — السلافة في المجون والظرافة ٠
٤ — سلوة الكرام ونشوة المدام في احوال الاجداد والاعمام ٠
٥ — عقود الجواهر في احوال النبي وآل بيته الطاهر في خمسة مجلدات ٠
٦ — فيض الاذهان في تفسير القرآن في تسعة مجلدات ٠
٧ — مواهب المنان في الهيئة والميزان ٠ وقد الفه في صباه ايام دراسته لعلم الفلك ٠ وقد قيل ان اثاره اخترقت مع ما كان معه من كتبه في بدرة ولم يبق سوى كتابين احدهما في الفقه الاخر في الاصول في حين ان طابع ديوانه الاستاذ محمد حسن آل الطالقاني لم يسمع بهذا الحريق ولم يقف على اثر الكتب بين المذكورين ٠

---

(٣) قال مخاطبا الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام : —

اليك والا لا ابث شكايتي
ومنك والا لست اطلب حاجتي
وانت وان جلت وجمت خطيئتي
شفيعي الى الرحمن في يوم فاقتي

بن الميرزا خليل الطهرائي جد آل الخليلي . ـ
نعتك المزايا الغر يا بهجة الدهر
وراحت لك العلياء تلطم بالعشر

وقال مخاطبا له عليه السلام عند قدوم السلطان ناصر الدين شاه القاجاري الى النجف :
امير المؤمنين واي ملك
سواكِ من الملوك لنا امير
ببابك كل سلطان ذليل
وبين يديك اعظمهم حقير
فكسرى عندها يبدي انكسارا
وقيصر دون رؤيتها قصير
ثم يخاطبه كذلك بهذه الابيات الثلاثة قائلا : ـ
كرب المت بالفؤاد
وعندها صدري يضيق
شمت العدو يا ابا حسن
كما خذل الصديق
ولانت يا غوث الصريخ
بكشفها عني حقيق
ويمدح نجله الامام الحسين عليه السلام بهذين البيتين : ـ
يقولون هلا مدحت ابن فاطم
حسينا ومن سرت بمولده الرسل
فقلت : لساني قاصر عن مديح من
تحير في ادنى مناقبه العقل
وفي صرح الامل موسى بن جعفر يقول متألما من حادثة المت به في بغداد : ـ
هم يضيق به الفضاء وعزمة
عن مثلها تروي السيوف مضاءها
ولكم نهضت بنقل اعباء العلا
جذلا وعلمت الاسود اباءها
واليوم في (بغداد) اصبح لاويا
جيدي وأتبع راغما امراءها
لله نفس لا يضام نزيلها
حتى تزلزل في الورى غبراءها
الى ان يقول :
فلوت الى (موسى بن جعفر) جيدها
وهو الظهير لها على من ساءها
واليوم اوقفها الرجاء ببقعة
حلت ملائكة السماء فناءها
ثم يختم قائلا : ـ
هيهات ما كسرى وحقك جابر
كسرا اذا خيبت انت رجاءها

فيا ظاعنا قد خانني الصبر بعده
وغير عجيب فيك ان خانني صبري
اعيذك بالرحمن ان تسكن الثرى
وحيدا بطي اللحد يا واحد العصر
ثم يقول . ـ
الا ان يوما قد رحلت به وقد
حملت به فوق الرقاب الى القبر
ليوم به العلياء تذرى دموعها
على أن فيه الحور باسمة الثغر
وفي الغزل قصائد تشفي غليل المتيمين والعشاق وارباب الهوى الذين تقرحت جفونهم(٤)

---

(٤) ثم قال راثيا العالم التقي الحاج محمد صالح كبه : ـ
ترحل من تشد له الرحال
فلا امل هناك ولا نوال
لتبك المرملات عليه حزنا
بقاني الدمع فهو لها ثمال
وقور ان تزلزت الرواسي
يرنح عطفه منه السؤال
فلو رام الانام علاه لما
ينالوا منه ما وطيء النعال
مواهب لا تنوء به المطايا
عليها الناس كلهم عيال
ومجد لا تنافسه الثريا
وحلم لا توازنه الجبال
ثم يرثي والدته العلوية الجليلة كريمة السيد احمد الطالقاني : ـ
من سام فرعك بالزبول
يا دوحة الشرف الاصيل
يا بنت فاطمة البتول
ويا ابنة الهادي الرسول
اليوم حق لي البكا
لو انه يطغي غليلي
واليوم قد اصبحت حليف
الوجد والحزن الطويل
ولألبسن عليك يا
اماه ابراد النحول
ثم يقول :
يا حاملا نحو القبور
ربيبة المجد الاثيل
الله في كبدي التي
اودعتها تحت الرمول

قال :ـ

كفته عن الحراس ليلا ذوائبه
واغنته عن حمل السلاح حواجبه
نبي الى العشاق ارسل هاديا
الى الحب يدعو والقلوب تجاوبه
فسفك الدما والتيه والصد والجفا
ونقض عهود العاشقين مذاهبه
الا فاسقني من سلسبيل رضا به
فيا ربما يطفي من القلب لاهبه
وليست بهياب عقارب صدغه
وان لدغتني قبل ذاك عقاربه

وقال ايضا :

تبعت هوى نفسي فأصبحت عاشقا
فقام لحربي عاذل ورقيب
فها انا ذا بين العذول وبينها
طريح فهل لي بالحياة نصيب
فنفس ابت الا الوصال وعاذل
يلوم ويأبى ان يزور حبيب
فلله قلب غادرته يد الهوى
طريحا وما غير الوصال طبيب(٥)

وله كذلك :

مال النسيم بقدها الفتان
فعرفت كيف يميل غصن البان

ورنت بعين الريم ثم تلفتت
حذرا وتلك سجية الغزلان

وتحصنت من قدها بمثقف
وتقلدت من جفنها بيماني

الله في عيني التي
اهدى بها قصد السبيل

الى ان يقول :

تا لله لم يبق النوى
مني سوى جسد نحيل
كانت بقية مهجة
ذهبت فقصر يا عذولي

وفي الختام يقول :

هيهات تهنا لي الحياة
بعيد ذا الخطب الجليل

---

(٥) ثم يقول هذا الغزل البديع :ـ
اسكان نجد والنداء من الوجد
اغيدوا سلام المستهام على نجد

سحارة الالحاظ ما (هاروتها)
يدري بما تروي عن الكهان

احن على بعد اليها وانني
اغار اذا مر النسيم بها بعدي
اراك عليلا يا نسيم كانما
تعاللت من شوق الى ذلك الزند
فان جزت في تلك الشعاب التي بها
اقام اخو غصن النقى اهيف القد
فقل للجفون الناعسات فديتها
لقد بات جفن الصب في شرك السهد
علقت به والدار غير بعيدة
فما نلت لا والشوق الاجوى الصد

ثم يسير هكذا الى ان يأتي الى قوله :

فهل تنعش الايام قلبي بساعة
خلت من رقيب كامن لي في بردي
فاملأ آفاق السماء بأنة
اعلم فيها الناس ما زجل الرعد

ثم يخبرنا بما فعل حبيبه فيقول :ـ

فمالت باعناق وجالت بناظر
واحشاؤها من لوعة السير في وقد
وحنت وانت وانثنيت وراءها
احن ولا ينعي الحنين ولا يجدي
تركت فؤادي يا بن ودي رهينة
لدى من يريك الموت ادنى من السرد
وجئت بجسم ناحل يحمل الضنا
يقوم باعباه فيكبو على الخد

وفي هذا القصيد من لواعج الحب وشكوى الغرام ما يثير الخواطر ويستنزف الدم لا الدمع حيث يقول :ـ

ابيت وامواج الهموم على صدري
كأني غريق بات في لجة البحر
اقلب طرفي في النجوم كأنني
افتش عن نومي واودعها سري
واضحك خوفا من شماتة حاسدي
وفي القلب ما تبكى له مقلة الصخر
اعد نظرا نحوي فما ترك الضنا
بجسمي من عضو وذ لي من صبر
وما انا الا ميت ينهض الهوى
به ومن الاشواق ما زلت في سكر
فامشي وما ادري وحق صبابتي
الى اين قصدي والاحبة لا تدري
غريقة بحر الدمع باتت جوارحي
فما لك يا قلبي تبيت على الجمر

لانت محاسنها فقلت لها صلي
فقسا الفؤاد فلج في هجراني

ويقول ايضا .

يفارقني من لا احب فراقه
ويصحبني من لا احب له قربا

سريتم ولي قلب اسير لديكم
فيا ليت كلي كان عندكم قلبا

وهنالك التهاني المملوءة بالغزل العنيف ذي العاطفة الحساسة وهناك الموشحات وباب التهاني كذلك ثم تليها الحماسيات وبعدها التشطير والتخميس وباب المراسلات والاخوانيات ثم المتفرقات وكلها درر بل غرر من الشعر الجميل المستحب والذي نقف عند هذا الحد منه لضيق المجال كما ان للديوان فهارس عديدة ابجدية تضع الديوان في مصاف الكتب الادبية العلمية سهلة الاخذ والاقتباس بفضل ناشره مع العلم بأن مترجمنا الشاعر موسى الطالقاني لم يعش اكثر من ست وستين سنة تاركا لنا هذا التراث الخالد والخريدة الفريدة ذات القلائد النفسية الطريفة .

وقد اطلقوا ليل الفراق سهادنا
فحتى م تبقى يا رقادي في الاسر ؟

ثم يشكوا لليل مصيبته والهلال والبدر حتى يأتي الى قوله :

سلوا ذلك الريم الذي مر نظرة
فلم يحل عيش مذ اقام على الهجر

وما ضره لو يلفت اليوم جيده
فيكشف ما يلقى المشوق من الضر

يمر فيرنو شيمة الظبي ان رنا
لماء ولا يدنو لما فيه من ذعر

وينظرني شزرا فاطرق خيفة
واخضع ان شاهدت ما فيه من كبر

وفي هذا القول بدائع من الغزل السافر حيث يقول :
حاجبك الفتاك ام باتر

وطرفك السفاك ام ساحر
وقدك المياس ام ذابل

يطعن قلبا ما له ناصر
وطرفي السفاح ام مزنة

ودمعي المسفوح ام زاخر
ويملك الحسن قلوب الورى

فاعدل بحكم الحب يا جائر
سعر فدتك النفس نار الهوى

اني على حكم الهوى صابر
يا نائم الليل هنيئا اهل

تعلم اني ارق ساهر ؟
يا عجبا من صنع رب السما

ثم يقول : ــ

وشاع بين الناس حبي له
حتى كأني مثل سائر

الى ان يقول : ــ

هيهات ان يسلوه قلب به
منه له عن هجره زاجر

وقال متغزلا بتركية مرت عليه في الباخرة : ــ
حمت ورد خديها الجفون الفواتر

فما هي الا المرهفات البواتر
وارخت على صبح المحيا براقعا

من الليل الا انهن غدائر
لئن نفرت عني والوت بجيدها

فما هي الا الريم والريم نافر
بدت وظلام الليل ارخى سدوله

فردت علينا الشمس والليل عاكر
الا يا ابنة الاتراك جودي بنظرة

تقربها من عاشقيك النواظر
ثم قال متغزلا عند ساعة **البين** : ــ

يا ساعة البين والتوديع بشراك
فاليوم قد ظفرت بالقلب كفاك

فحكمي كيف شئت اليوم في كبدي
ان الفراق على الاحشاء لولاك

فروعي كبدي ان شئت واختبري
صبري فاني ليوم الحشر ارعاك

ولست انقض لا والحب عهد هوى
اصبحت فيه برغمي بعض اسراك

يا بنت غصن النقا ماذا الانين فهل
امست رهينة كف الشوق احشاك ؟

لا تسجعي ايهـا الورقاء في فنن
حاشاك من لوعة العشاق حاشاك

ولا تنوحي على الاغصان من حزن
فالنوح حق المشوق الواله الباكي

وفي هذا الغزل ما يدعو الى التألم على المتيم المشتاق المفجوع بحبه قال :

يا نسـيما اراد مثلي عليـلا
هل رماك الهوى فبت نحيـلا

ام جفاك الحبيب مثلي فامسيت
تعـانى اسـى وداء دخيـلا

ان مررت الغداة في ارض نجد
حي عني ذاك الغزال الكحيلا

وغريرا اغـار منـه عليـه
وبرغمي اليــه كنت الرسولا

كم نفوس سالت عليه من الوجد
وسل ان شككت خـدا اسيلا

وبقلبي قد اغمد الشوق غضبا
لم يـزل في جفونه مسـلولا

يا بخيـلا ولو بطيف يـزور
الحي ليلا وفيـه يحيى قتيلا

قـد ذهبنا عوج الضلوع لوجد
لم تجد فيـه للسلو سـبيلا

وحملنا كما تشاء من الاسقام
عبئا يوهي الجبـال ثقيـلا

ما نزلنا فنـاء حبك الا
وحبسنا عـلى القلوب الغليلا

وبكف الغرام قـد بايع الوجد
فؤادي بمـدمعي ان يسـيلا

يا جميـلا اضـاع مني فؤادا
مثلما قد اضاع مني الجميـلا

طـال ليلي فمـا برحت ابث
النجم مني عتبـا عليك طويـلا

فهنيئا يا راقـد الليـل اني
بت فيـه على النجوم وكيـلا

لو تراني رأيت في الحي ميتـا
وعـزيزا بالحب امسى ذليـلا

خلفـوه بين الربوع وخفـوا
وتنادوا ـ وهو الحمام ـ الرحيلا

يسأل الركب وقفـة اذ تناؤا
ويـراعي ظعائنـا وحمـولا

قام يشكو الهوى فاقعده السقم
فاضحى الغـداة يبكي الطلولا

ايهـا الظاعنون بالله مهـلا
ان لي خلفـكم فؤادا عليـلا

ايهـا السـائق العجول ترفق
بمشوق اليك يشـكو النحولا

ان لي في الظعون قلبـا اسـيرا
ودمـا بـين اهلهـا مطولا

ولنختم باب الغزل بابيات من هـذا القصيد وما يليها : ـ

قـد وقفنا وللفـراق شؤون
عرفتنا الحمـام كيف يكـون

بين من لان من لواعجه الصخر
ومـن بين صخـرة لا تلين

آه من وقفـة بها شاب رأسي
وقليل لو شاب منهـا الجنين

خرست السن بها مثلما قـد
نطقت للوداع منـا الجفـون

هزني الشوق هزة بان فيهـا
ان هـذا متيـم مفتـون

وحـدا بالنياق حـاد عجول
واستقلت بمن احب الظعـون

فانثنينا وللقـلوب وجيب
مـن حـداة وللنيـاق حنين

وسهادي كـدمع عيني طليق
ورقادي مثـل الجفون رهين

ثم ملنـا الى الديار فسالت
انفس قبل ان تسيل العيـون

لامحتك الديار يا دار احبـابي
ولا خف مـن ربـاك القطين

أوهام

شعر : توفيق عادله

لا تصبي في الكأس شيئا .. دعيه فارغا .. مثل هـذه الايام !..
مثل قلبي دعيـه .. مثل حديثي حـين أحكي اليك عـن احلامي
ان صمت القفـار يمـلأ نفسي بعذاب .. وحيرة .. وانهزام ..
والذي قـد رجوت كـان سرابا كان دنيـا تشيع بالاوهـام !.
فاسمعي شهقة الجراح بصـدري وانيـن الاوتـار في أنغـامي
وارقبيني أسير في الليـل وحدي من حطـام مروع لحطـام ..
وكهـوف الاحقـاد ترقب خطوي حـين أمشي تشـدني للظـلام
لا تصبي في الكأس شيئا فهـذا ليس وقت الشراب والابتسـام
اننـا الان للذهـول .. لصمت ولدينـا من الجراح الدوامي !..
نتلاقى ، وللـرياح عـويل .. حولنـا كالنشيج فـي آلامي
السراب السراب أدمى عيوني ورمى أضلعي بجمـر السـهام
قلقي .. والفـراغ يصفع قلبي بدياجيـه .. يا لطيوف القتـام
والمآسي .. وحيرتي .. وخلاصي من عذاب قـد طال فيـه مقامي
أيشـد الزحـام قلبي لير ميــــه ؛ وقلبي وهبتـه للزحـام ؟
ووجـودي رهـن التفـاتة نور وفـدى العطر والنـدى والنسام
هـو حبي .. لا تسألي عن مداه تعرف الطير والروابي غـرامي
ضج في صـدري السؤال وأغفت في ضـلوعي روائـع الانغـام
أيقظتهـا فالان أشـعر أني أتخطى رواسـب الاعـوام
وأحس الجنـاح يـوغل في الافــــق ، وروحي تواقـة للهيـام !.

سلمية ـ توفيق عادله

الشاعر: عبد الرحيم الحصني في قصيدته «عيد الجلاء»

ان لشعر عبد الرحيم الحصيني نكهة خاصة، فيها لذة، وفيها عطر، وفيها ألق، وفيها ارتياح.

لهذا الشاعر مقدرة على «تفجير طاقة» اللفظة العربية.

انه من مدرسة «بدوي الجبل» التي ترتكز على صفاء الديباجة، ومتانة التعبير، ووضوح الفكرة، وغناء الصورة، و«تجسيد» اللفظة.

ملأ هذا الشاعر فراغا في وصف ملاحم الجلاء لم يتسن لغيره من الشعراء، وأيقظ وترا هاجعا، وأكمل نغما ناقصا.

بقلم: حامد حسن

* * * *

ما كان الاستعمار الفرنسي البغيض الذي جثم على صدر سورية زهاء ربع قرن، الا امتدادا للاستعمار التركي الغاشم الذي ناءت تحت اعبائه الامة العربية طوال اربعة قرون.

اربعة قرون من العبودية، والاضطهاد، كادت تقضي على تراث الامة العربية، وتمحو تاريخها، وتعفي على اخلاقها، وتنحرف بها عن اصالتها، وتقاليدها، وتفقدها شخصيتها، ومقوماتها، ولولا رحمة من ربك سبقت لقضت على لغتها وعروبتها.

وعلى هذا فاننا لو استنطقنا التاريخ في هذه البقعة من الوطن العربي عن أهم الحوادث، وأخلد المناسبات، واكثرها شمولا، وأبعدها صدى، واعمقها أثرا في روحية الامة، وأعظمها حدثا في مجرى التاريخ، لرأينا أن «الجلاء» — جلاء الاستعمار عن ربوع الوطن السوري — هو الحدث الاهم، والاخلد، والاعمق، والاقدس.

انه يعني الخلاص من العبودية، عبودية فرضها مستعمر، ناقم، متسلط، على شعب مغلوب، أعزل، بما في التسلط من عنجهية واعتساف، وبما في النقمة من حقد وضغينة، وبما في الغلبة من غطرسة وخيلاء، وبما في العبودية من ذل وامتهان واذعان.

هذه المناسبة البالغة المدى، العميقة الاثر في نفسية الشعب السوري، وما تركته من اصداء بعيدة الاغوار، متناهية الترامي، في الشعوب العربية، تغناها الشعراء — شعراء العربية — في مختلف رباعهم واقطارهم، ووقعوها على شتى مزاميرهم، واوتارهم، منذ فجر «الجلاء» الوضاء، حتى يومنا هذا.

تغنوا — حين تغنوها — الرغبات الكبيتة التي تحققت، والنفس السجينة التي انطلقت، والشخصية القومية التي استردت اعتبارها، والقيم الاخلاقية التي انبعثت لتسهم في حضارة القرن العشرين.

تغنوا كل ما في النفس العربية، والوجدان العربي من حب وخير وجمال للحياة، والانسانية، وما في الاباء العربي من توثب، وتحفز، وتطلع، وغضب، وشماس على التحكم، والطغيان، وما في الغد العربي من اشراق، وآمال، واحلام، ومستقبل باسم، راغد.

واختلف الشعراء في هذه المناسبة، اجادة، وتوفيقا، واصابة هدف، واستيفاء غرض، واذكاء حماس، وبعث تاريخ.

وكنت — مع كل هذا — أشعر بفراغ لم يملأ، ووتر لم يحرك، ونغم لم يتم في كل ما قيل في مناسبة الجلاء» السعيدة حتى اقبل يوم الجلاء في هذا العام، وقرأت قصيدة الشاعر عبد الرحيم الحصني في مجلة الثقافة.

شعرت — وانا أقرأ هذا الشاعر، واسبح عبر التاريخ العربي على أجنحة خياله المذهبة، وأطوف في آفاقه المترامية، وأحلق في أجوائه النضرة، العطرة، وأتلمس أغراضه، ومراميه — بأن النقص، والفراغ اللذين كنت احسهما كلما استعرضت «ملاحم الجلاء» قد تداركهما هذا الشاعر.

تحرك الوتر الهاجع في القيثارة، وتم النغم

الخديج ، واتسق النشيد الناغم ، وارتاحت النفس المتشوفة .

كثيرون من الشعراء يعطون شعرهم شكل الفواكه، والازهار الاصطناعية ، ولونها ، وحجمها ، ولكن ينقصها طعم الفواكه وعطرها ونكهتها ، اما هذا الشاعر الشاب ، فلشعره « نكهة » خاصة ، فيها لذة ، وفيها أريج ، وفيها ألق ، وفيها ارتياح .

يمتاز « الحصني » عن الكثيرين من شعرائنا المعاصرين بقدرته على « تفجير طاقة » اللفظة ، تلك الميزة الكمينة في خصائص لغة العرب ، والتي لم يصل اليها الا قلة من الشعراء .

ان حسن استخدام اللفظة ، وتواشجها مع اخواتها، بعطيها ، فتعطينا عالما شعريا اخاذا ، ساحرا .

بررت آثام نفسي يوم أرجني
من جنة الله ما يندى ويزدهر !!

فتبرير الآثام ، وتأريجه من الجنة وامثال ذلك ، كنازف النجوى ، ونعماء الصبابة ، والائتزار بالشهب ، ووسيم المتارف ، كل هذه الصيغ هي تفجير لطاقة اللفظة العربية كما أشرنا .

ويمتاز « الحصني » ـ فوق ذلك بحسن عرض الحوادث ، وتسلسلها ، وأخذها برقاب بعضها ، وتماسك أجزاء الموضوع ، وترابطها ، فلا تفكك ، ولا وهن ، ولا انقطاع ، بل تساوق في النسيج ، وتتال في الصور يجعلانك تندفع ـ مختارا ، او مكرها ـ مع الشاعر الى نهاية مطافه ، بلا توقف ، وشرود ، وحران ، وتخرج من الموضوع « بوحدة » و « كلية » سامتين .

ويظهر أثر مدرسة « بدوي الجبل » على شعر الحصني ـ وليس في هذا غضاضة عليه ـ هذه المدرسة التي ترتكز على صفاء الديباجة ، ومتانتها ، وانتقاء اللفظة ، وحيويتها ، وشاعريتها ، وسلامتها ، واعطائها معنى مجازيا يخلق لها عوالم ، ودنياوات جديدة ، واحيانا تبلغ اللفظة في هذه المدرسة درجة «التجسيد» .

ومن دعائم هذه المدرسة متانة التركيب وفصاحته ، فلا تقديم ، ولا تأخير ، الا لغرض بياني .

ومن خصائصها غناء الصورة ، فلا تشعر بتشويه « المخلوق » ولا نقصان في تكوينه ، بالاضافة الى الوضوح التام ، فلا اجهاد فكر ، ولا اعمال روية لاصطياد المعاني ، واستيعابها ، واكتناهها ، ومرد كل ذلك الى التساوق ، والتطابق ، والانسجام بين المفردات والمعاني المرادة .

والذي يستلفت نظر الناقد ، ويسترعي سمعه ، وينتزع اعجابه هذا « الموجان» في الحركات ، وتلك « الحركية » في الكلمات ، وذلك التهافت ، والتالي ، في مخارج الحروف ، والالفاظ ، مما يشكل جرسا موسيقيا عميق التناغم ، ناعم الرنين ، ينساب الى قرارة النفس ، ويلامس اغوار المشاعر .

كما تجد ـ الى جانب هذا ـ التوتر النفسي ، وعنف الزخم في مواقف البطولة ، والدفع ، والاستثارة

لقد لف الحصني ابعاد التاريخ في قصيدته ، وعرج على الامجاد اليعربية ، يوقظ غافي الحماس في نفوس أبنائها ، ويسعر حميتهم ، .. فالمجد ـ في رأيه ، وعقيدته ـ لا ينبت الا حيثما ينفر قومه ، وعين البطولة لا تكتحل الا بمراود مرانهم ، والنصر لا يورق الا على حمر قواضبهم ، وكل فتى منهم في زخم الساح ، وزحمة ، « عمرو » في شجاعته ، وكل أب ، « عمر » في حكمته ، وعدالته .

وللشعر ـ ديوان العرب ـ أمجاد ، دونها امجاد الدهر المدل بعظمته ، وجبروته ، فسدرة المنتهى مرتبع له ، وما ادراك ما سدرة المنتهى ! عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، وخمائل وحي الله منتشر له ، والملاك ـ جبريل ـ يمس بعض عطايا كرومه فيعتصره خمرا شهيا يؤرج الجنان ، ويسكر العنادل .

والشعراء ـ ابناء الآلهة ـ متكئون على الرفاف الخضر ، يصارعون القدر المجهول « ماذا صنعت بأهل الشعر يا قدر » ؟؟ انهم ـ في رأيه ـ الهادون ، الداعون الى الاقانيم الثلاثة : الحب ، الخير ، الجمال ، تنداح من معابدهم الآيات ، والسور ، وينساح من اعواد مجامرهم العبق الشذي ، ويرفض من مساكب اورادهم.

انهم ارفع من البشر ، يتعالون عن شرورهم واحقادهم ، مسح الله على قلوبهم بالمحبة ، فبادلوا

بالاساءة احسانا ، وبالذنب تحنانا وغفرانا ، كساهم الله جلبـاب الحكمة ، وأزرهم بالشهب ، فمـن متارفهم لياح الشمس ، ومن لياليهم اهلال الاقمار •

وعبد الرحيم الحصني ـ بحكم اخلاصه للتاريخ ، وتراث أمته ـ محافظ على عمودية الشعر ، وسلفيته ، وبنائيته ، ويرى ان ذلك من « حتمية » استمرار أمته ، ولغته ، وآدابها ، واصالتها ، وان اي انحراف عن هـذا الخط التقليدي ، هو انحراف بالامة عن الطريقـة المثلى ، وتهديد مباشر بفنائها ، وكل ما جاءوا به باسم الجديد هو ضوضاء منمقة ••• وعلى الهامش •

من مولد العرب حتى اليوم ما غربت
للشعر شمس ، ولا خلت به الغـير
من لم يتـه بتـراث الاهل مفتخـرا
فليت شعري بما يزهو ، ويفتخر ؟؟
عـلى الهوامش ضوضـاء منمقـة
باسم الجديد ، قلاها السمع والبصر
تلك المسـارح لا والله ما حسبت
أعمال من عجزوا فيهـا كمن قدروا

فهـو يسوق اليك الدليـل التاريخي ، ويدعمـه بالمنطق ، والحجة ، ويورد على ذلك الدليل والبرهان ، واني ـوان كنت اكره « المنطق » في الصور الشعرية ـ فلا ارى مندوحة من القول : بأن « منطق » الحصني في قصيدته هذه بدا لي مقبولا ، واقعيا ، واستطاع ببراعته ان يحليه بالصور الشعرية ، وحالي الفاظها •

وهذا الهتاف !! اما يهـز النفس هزا ؟؟ ويثير المشاعر ، ويدغدغ كل كمين العواطف ، فيبتعثهاجياشة ، هدارة ، رعادة !!

يا موسـم النصر في نيسـان ••••
دانت بحـرمتك الايـام ، والعصر
فرشت ظلك نشـوانا فـكل غـد
مستبشر ، باسم ، مخضوضل ، عطر

انه موسم خير ، كريم مثقل بالجنى ، والقطاف ، والعطاء •

ويمضي الشاعر يصور الجلاء ، وملاحمه المجلجلة في مسامع الدهر ، فينتشر منها أرج « حطين » و •• بوح « صفين » ، تلك الصور العديدة الالوان ، التي تأخذ بالالباب ، والمسامع ، وتتغلغل في اعمق اعماق النفوس ، لما تحمل من حرارة العاطفة ، وصدق الايمان ، وعمق الانفعال بالحوادث •

وفي هذه الغمرة من النشوة ـ نشـوة الجلاء ـ يفاجئك بأن الجلاء ـ على ندي نعمته ـ وجلال خطره ـ ما هو الا فرحة غير مستكملة ، ونعمىمشوبة بالشقاء ••• أليس في القدس غاصب ؟؟؟ وهل تصفو النعمة لجريح المهجة ؟؟ وهناك الحواجز المصطنعة !! فأخ في الحجاز ، وأب في الرافدين ، وقلوب ذبيحة في الجزائر ، ونخبة أحبة في مصر يكاد يجن حنينا اليهم ، و •••

مـن المحيط الى اقصـى الخليج دم
يذوب في الوحدة الكبرى ، وينصهر
نفسي وللوحـدة العصماء أنذرهـا
لاخيب الله من جادوا ، ومن نذروا

اننا نبارك هذا الشعور اللاهف ، ونكبر ونقدس هذا الحنين الراعف ، وننحني اجلالا واكبارا لهـذه العواطف المضطرمة الى الوحدة العربية ونردد معه : لا خيب الله من جادوا ، ومن نذروا •

وشخصية الشاعر في هـذه القصيـدة بارزة ، متميزة ، فهو يصدر عن ذاتية ، وينفعل بالحوادث انفعالا عميقا ، لانه عاشها باعصابه ، بلحمه ، بدمه ، بروحه ، بخواطره •

ولا ادري !! اذا كان الشاعر مستوثقا من لفظتي « ضمر » بمعنى أضمر ، والزهور ، جمع زهر

كما انني لم أدرك السبب الذي دعاه لان يقرن معركة « حطين » المعركة الحاسمة بين العرب والروم ، مع معركة « صفين » وهي المعركة التي انقسم فيها العرب الى معسكرين يتصارعان ، ولم نزل نعـاني شر ذلك الانقسام الى الان ، ولكن قديما قال الشاعر :

وقد لا تعدم الحسناء ذاما !!

الديكيش ١٥ ـ ١٠ ـ ٩٦٢ — حامد حسن

سميرنسكي

ـ تتمة ما نشر في العدد الماضي ـ

كانت حالة المريض ميئوسا منها ، ونصحهم الطبيب بنقله الى المصح . وامضى المريض يوم السادس من حزيران محاولا دخول المصح ولكن سدى . فقد كانت جميع الاسرة مشغولة . وفي التاسع من حزيران عام ١٩٢٣ شلت صوفيا وبلغاريا جميعا بالانقلاب العسكري الذي قام به الرأسمال الضخم واسرة كوبورغ . وكانت جميع الطرق ، والمفترقات محروسة بالجنود والضباط المسلحين . وكان الحزب الشيوعي البلغاري قد حذر من ان انقلابا عسكريا يهيأ . ولكن الحكم الزراعي « المستقل » لم يكن من جهة الطبقة العاملة ، بل كان ضدها ، لم يعد يمثل الا جثة كبيرة لم تعرف التعاون ابدا . وهذا يفسر كيف انها سقطت بسرعة وسهولة تحت ضربات القوى المسلحة التي نظمتها حفنة من المتآمرين الملكيين ـ الفاشست ، الذين استغلوا من المهارة كره الشيوعيين للسياسة الارهابية المعادية للشيوعية التي تنتهجها حكومة الزراع . وقد ارتكبت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي خطأ في تقرير عدم التدخل في « المعركة بين جناحي البورجوازية » .

لقد حال انقلاب التاسع من حزيران دون اسعاف الشاعر المريض فورا . وانقطعت المعالجة الطبية ولم تعد تصله الاغذية بانتظام . وقلق الشاعر كثيرا عند سماعه خبر الانقلاب الملكي . وادرك اي معركة عنيفة ستدور بين المتآمرين المسلحين وبين الحزب الشيوعي البلغاري ، وكان لايام القلق والاضطراب هذه تأثير سيء على حالة سميرنسكي التي اصبحت خطرة جدا .

ونجح اخو سميرنسكي اخيرا في ايجاد مكان له في مصح خاص مجاور . ووصل في ١٢ حزيران لنقل المريض في سيارة . وسمح لامه بالبقاء الى جواره . ولكن رغم عناية الاطباء والممرضات فقد ساءت حالة سميرنسكي وكان مع ذلك يجد لديه القوة لمداعبة الذين يحيطون به . واجتمع الاطباء للمشاورة فيما بينهم وحكموا بان امام مريضهم بضعة ايام فقط يحياها . وهكذا في ١٨ حزيران عام ١٩٢٣ في الساعة السادسة والنصف اسلم سميرنسكي الروح .

وترامى نبأ موت الشاعر الى اللجنة المركزية للحزب . وكان اليوم يوم اثنين ، والناس في العمل . ومع ذلك فقد انتشر النبأ الفاجع في كل مكان . ونقل الفقيد الى كنيسة القديسة نيديليا . وتحلق حوله اقاربه واصدقاؤه ومعارفه وقراوه والمعجبون به . وبدا الشاعر كما لو ينام بين الازهار التي كان يحبها كثيرا . وخطب الشاعر غيوميليف ـ الذي احرق حيا بعد ذلك في عام ١٩٢٥ في ادارة البوليس الفاشستي ـ كان خطابه قصيرا جدا ولكنه عميق المعنى ، والعاطفة ، والروح النضالية .

وحمل النعش عند جنوح هذا اليوم الصيفي الى الغروب ، وسار الوف الرجال والنساء والفتيان والفتيات وراءه . وصدحت جوقة الحزب : « انتم ، يا من سقطتم شهداء ... »

كانوا قد حفروا القبر تحت شجرة « اكاسيا » فتية وكان اول المتكلمين نقولا بينيف باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ثم خالتشو ايفانوف باسم منظمة الحزب في حي سميرنسكي ثم تودور بافلوف محرر جريدة « ملاديش » (الشبيبة) باسم اللجنة المركزية لاتحاد الشبيبة الشيوعية البلغارية .

كانت الساعة قد بلغت السادسة والنصف مساء عندما انزل النعش الى القبر .

وكتبت جريدة الحزب : « لقد عاشت اغانيه وستعيش عمر الخلود ، انها ستهز افئدة العمال ، شيبا وشبابا ، وستملأها سخطا على هذا المجتمع الذي تحصد فيه العبقريات الكبيرة في عمر الازهار ، وستدعوها للنضال . ان كريستو سميرنسكي سيحيا باشعاره في السويداء من قلب الشعب العامل النبيل » .

وحزن الشباب الشيوعيون لموت هذا الذي غنى بقوة وحرارة سيرهم الجبار الذي لا يقاوم ، الى الامام ، نحو « النور ، والجمال ، والقمم » . وعلى صفحة الحداد في جريدة « ملاديش » كانت هذه الكلمات : « ان الشبيبة الشيوعية تحس عمق الخسارة الكبيرة التي تحملتها الحركة بموت كبير شعرائها الشباب البروليتاريين الموهوبين ، كريستو سميرنسكي . ان الشاهد على ذلك دموع الالم والحب المخلصة التي سكبتها شبيبة صوفيا الشيوعية على قبر هذا الشاعر الذي غادرنا مبكرا ، وبسرعة ، في زهرة العمر ، في الخامسة والعشرين » .

وعندما نشرت الصحف تفاصيل موت الشاعر المبكر ، عرف الوف القراء ، بحرقة ولوعة ، ان الذي كتب تلك الابيات الثورية الجميلة لم يكن قد اكمل الخامسة والعشرين من عمره . فأي عبقرية متفوقة فقدها الحزب الشيوعي ، والطبقة العاملة ، والشعب البلغاري باسره .

الواقعية الاشتراكية في شعر سميرننسكي

ان كريستو سميرننسكي متمم الخط الثوري الذي بدأه كريستو بوتيف ثم الشاعر البروليتاري الاول ديميتر بوليانوف • فمؤلفاته تمثل مرحلة جديدة في الادب البروليتاري البلغاري تبلغ مستوى عاليا من حيث الايديولوجية والسياسة •

وقد كتب جورج ديميتروف في عام ١٩٤٨ : « ان باستطاعتنا القول ، دون تردد ، ان سميرننسكي بموهبته وطبيعة مؤلفاته الادبية النضالية ، هو ماياكوفسكي بلغاريا » •

ان شعر سميرننسكي الثوري يفيض من تفاؤل فتي ، يعدي ، وليس تعبيرا عن حالة نفسية عارضة ، لا هدف لها ، ولكنه ينبع من اقتناعه العميق بصحة الافكار الماركسية – اللينينية ، تفاؤل متولد من ايمانه الذي لا يتزعزع بنصر الثورة البروليتارية ، ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى • لقد كان سميرننسكي يجد في الحكم والدولة السوفييتيين بداية عهد جديد في تاريخ الانسانية • وهكذا ، بينما كانت جميع الصحافة البورجوازية الحانقة تعلن بضجة وضوضاء « زوال » الحكم السوفييتي و « انهزام » الجيش الاحمر كان سميرننسكي يكتب قصيدته الخالدة « الكتائب الحمراء » وهذه القصيدة سيمفونية حماسية ، كل بيت فيها تحية فرحانة الى جنود الجيش الاحمر الذي « سيصل بوثبة شامخة ، باندفاع جريء ، في عهد ساطع حاملا مشعل الايمان الجديد • » ••

وفي اشعار سميرننسكي تنعكس النهضة العظيمة العاصفة التي قامت بها الطبقة العاملة والشعب الشغيل بعد الحرب العالمية الاولى • كما تتغلغل الحقيقة البلغارية، ونضال الشعب الشغيل مع الطبقة العاملة ضد الرجعية ، وذلك بقيادة الحزب الذي سقته المعارك ، حزب ديميتر بلاغويف وجورج ديميتروف •

وكان سميرننسكي يعرف حياة الطبقة العاملة معرفة عميقة • فقصيدته « نحن » صورة مصغرة للنظام البوليسي – الاستغلالي ، البورجوازي ، الرأسمالي :

« حولنا يرعد السوط ، وفوقنا يضغط النير
وقانون المعدن الاصفر المستعبد •
نشب في البؤس ، وننطفىء في المآتم ،
نسقي طريقنا بدموعنا ، وعرقنا ، ودمنا ،
نحن ، الاموات ، الذين خلقوا ليعيشوا ، »

ولكن ها قد جاءت نهاية الاستعباد • اذ ان فهنوس (البروليتاري) قد وعى قوته :

سأرى وثبة العبد العظيمة
وسأسمع الرعد العاصف يهز
الساحات الغافية ، •••••
••••• انه يتقدم نحونا بخطى جريئة
ويفجر شعلة الياقوت
للانسانية الملفعة بالظلام ••• »

لقد عزا سميرننسكي للطبقة العاملة الدور القيادي في نضال الانسانية العاملة من اجل حياة جديدة ، من اجل نظام عادل ، نظام اشتراكي ، كل ذلك بتعبير بسيط سلس ، ولكنه على جانب كبير من قوة الاقناع •

ان العامل ، والعبد ، والشعب الشغيل قد دخلوا في « طريقهم الناري » وسيمرون فوق الارض مثل عاصفة ربيعية ، مثل « عملاق اسرع من البرق ، عملاق متفتح الوجه ••• »

« مع نجوم خماسية ،
وطريق مجيدة مرسومة اليوم
بيد حديدية جبارة ••• »

ان العالم التقدمي الملهم ، سائرا على غرار « سبارتاكوس الشمال » • وقد انتهج درب « الفجر الشمالي » ، اي أفكار لينين ، وهو يتقدم نحو النور والجمال والاعالي » •

ويصف سميرننسكي ايضا نوع حياة الطبقة العاملة ، ويرسم صورا للحياة اليومية في الحي البعيد • ولكن لوحاته ليست صورا باردة فالشاعر يضيف اليها عنصر الطبقة النضالي ، وهو يستثير غضب القراء على المظالم الشائنة في النظام الرأسمالي •

ان « الكتائب الحمراء » هي احدى القصائد الاكثر شعبية في بلغاريا • وكانت تردد على الدوام في اجتماعات الشبيبة الشيوعية يوميا خلال عام ١٩٢٠ • كانوا يقرأونها وينشدونها في فرق الانصار التي تجوب الجبال عشية التحرر من الفاشية • وليس من قبيل الصدف ان تكون اذاعة موسكو قد ذكرت هذه القصيدة في عداد اجمل القصائد العالمية التي الهمتها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى •

والى جانب « الكتائب الحمراء » تنتصب قصيدة « موسكو » ، وهي تمجيد حار لنجمة الازمنة الحديثة ، تمجيد ينبض بالانفعال ، والعاطفة الشعرية حيال عاصمة البروليتاريا • ان سميرننسكي يرسم موسكو بالوان

ساطعة ، انها بالنسبة له قلب من المعدن في حالة الانصهار ، انها بركان ارواح ملتهبة ، لقد كتبت هذه القصيدة بمناسبة مؤتمر الكونترز الثالث ، وهي تعبر عن الشعور اللاهب كالجمر ، المندفع من اعماق وجدان الشعوب المتيقظ ٠

وفي قصائد : « كارل ليبكينيخت » و « روز الكسمبرغ » و « يوهان » خلف سميرننسكي أنماطا فريدة واعطاها سمات من هؤلاء المناضلين الخالدين ٠ فنحن نرى الثورة تنتشر في العالم اجمع والجماهير الشعبية الثائرة تقيم المتاريس في باريس كما في برلين ، وعلى هذه المتاريس ينمو المحاربون الذين يشغلون قلوب الثوار البلغار ويدفعونهم الى المجد ٠

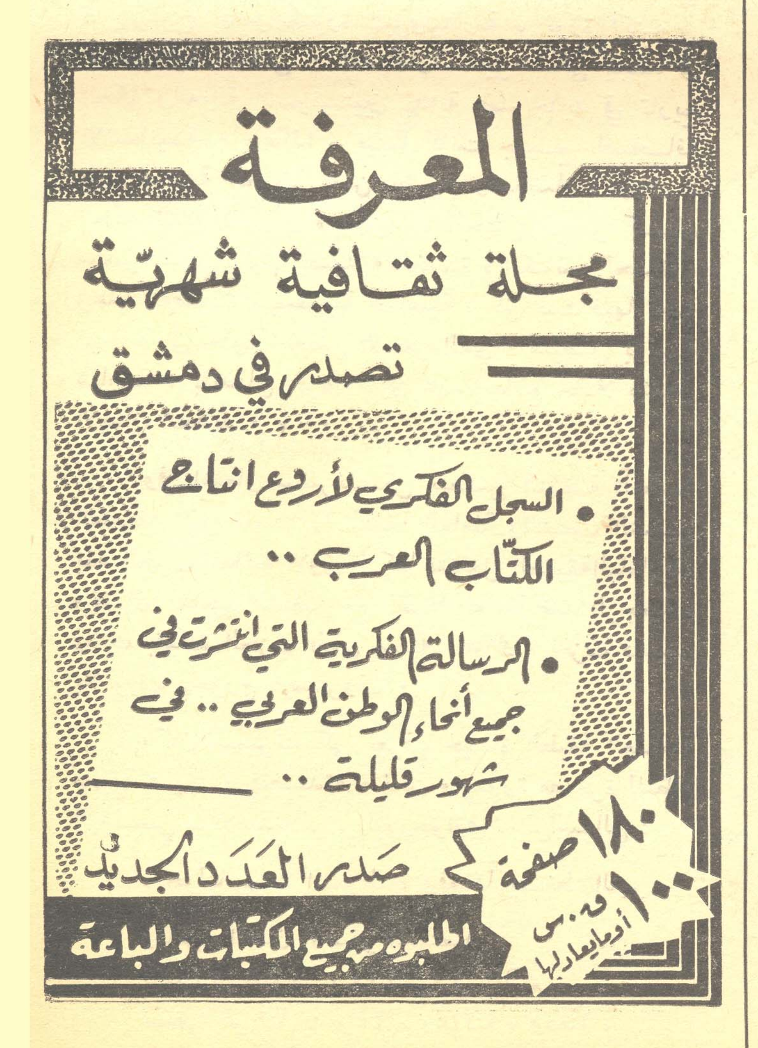
والضحايا التي تقدمها البروليتاريا عزيزة على الشاعر ٠ وهكذا فان عمال العالم اجمع ، عندما يتذكرونها ، يشدون قبضاتهم من الألم والحقد على العدو ، وعندما يناجي الشاعر بطله ديليسكلوز تقبض الكآبة القلوب وكذلك فان موت « كارل ليبكنيخت » و « يوهان » كان ايضا موتا باسلا يهيب بالمناضلين حول متاريس الثورة ٠ فالموت لدى سميرننسكي مغاير تماما لما عرفه الشعر البلغاري ٠ انه ليس حزينا ، ولا يقود الى فقدان القوى ، انه موت باسل ٠ ويكفي ان يتذكر المرء كيف سقط يوهان ، هذا المناضل البسيط المجهول على متاريس برلين ٠ لقد بقي وحده ، مصبوغا بالدم ، يشد في يديه بندقيته وصوت غليظ يعلو : « ارفع يديك الى الاعلى » فيجيب : « بل ارفع جبيني ! » ان ممثل البروليتاريا الثورية وحده هو الذي يستطيع ان يبدي مثل هذه الشجاعة ، ذلك لانه يمضي الى الموت ، قويا بعظمة فكرته ، وهذه القوة لا تتخلى عنه حتى وهو يسقط صريع جراحه ٠

وفي قصيدة « بترول الموصل في لبنان » ينبه سميرننسكي الى ان « البترول يشتعل بسهولة ولكن من الصعب بعد ذلك اطفاؤه » ، وان حرب البترول يمكن ان تشتعل بسهولة ولكن من الصعب بعد ذلك حصرها وتوقيفها ٠ ان هذا الموضوع لم يفقد شيئا من جدته ٠

ان سميرننسكي شاعر من العالم الجديد يولد في حضن العالم القديم ٠ وتسجل مؤلفات سميرننسكي مرحلة عليا من مراحل الادب البلغاري فقد أظهر الطبقة العاملة كبطل رئيسي ، في طليعة الشعب من اجل النضال في سبيل مصالح الوطن ٠ ولقد كان لمزايا الشاعرية المتألقة ولانسانيته الاشتراكية تأثير كبير بعد موته على تطور الادب البلغاري ٠

لقد كتب سميرننسكي في حياته القصيرة ٤٠٠ قصيدة و ٤٠٠ نبذة وقصة وصورة هزلية ، ووجه سهام سخريته اللاذعة ضد كل ما هو رجعي وظلامي في الحياة وفي تظاهرات احزاب البورجوازية والبورجوازية الصغرى ، ضد السياسة المعادية للشعب في الداخل والخارج والتي كانت تنتهجها الحكومات البلغارية وحكومات الدول الامبريالية الكبرى ٠

ان اعمال الشاعر الضخمة ، الملهمة ، الفائقة ، تضيف كنزا الى الادب البلغاري ، والادب العالمي التقدمي الثوري ٠ وعندما سيطلع ملايين القراء الاجانب على ما كتبه سميرننسكي فسيقرأونه بنفس الحماسة والاهتمام والرغبة التي يقرأ فيها العمال والفلاحون والمثقفون البلغار ٠



مكتبة الثقافة

قنوعي

الحب واللاهوت

للشاعر موريس قبق

بقلم : حمزة عباس

.... أبيات شعر ناعمة سطرها الشاعر بريشته التي نسلها من أهداب النجوم ، وأغفى بين أجنحة المطلق لينساب أحلاما شفافة مجذفا بحروف عذراء عبر نهر موسيقا أسماكه ألفاظ بكر ... أنجبتها بنات خيال مرهف مرهف . وجزيرة مغسولة أبدا بالوهم والسكان أطياف نلمس ، هنا ، عفوية الكلمة وانسيابها .. فكم جميلة هذه الجزيرة التي يغسلها الوهم ويسكنها الاطياف .

ولم أنتق هذا البيت للدلالة على نعومة شعره ، لا ، اسمعه في (بطاقة الميلاد) :

سألت بطاقة الميلاد كيف توله الحلوة ؟
وريشتها ولون الزهر في نافورتي شهوة

. . .

سألت بطاقة الميلاد كيف تولد الحلوة ؟

فقلن عبادة تعبى وقلت لعلها نزوة

وفي « تبرج » : قلم الحمرة استلذ انتهاء وهي تمحو ذراته فتعرج .

هو مرمى العنقود منفرط الحب وملهى الشعاع أنى تموج

والى جانب هذه الالفاظ الوثيرة التي تنسرح من قصائده الغزلية تلفت نظرنا ألفاظ – في القصائد الفكرية – قاسية موحية للجو المريب :

دقا لحما طحنا عظما صارا جزوه

أو ما رصا هرمي جنس ضغطا أعصابا محتقنة

وفي الديوان تراكيب مبتكرة : ثاليل المجرة – حسي بومضها يتدفا – سياج الرفض – تكشير الفناء – معمودا في جرن الصبوة وصور جديدة مثل :

يا لمنديل لوزة تفرز الدمع
وأخرى تسوح عبر المصيف

. . .

ركب المديقاوي الريح بسطا لا قلوعا
ينخر الموج
بسن الفيل مجذافا متاجر
يتشفى بأغاميق الجماد

. . .

الديوان في الغربال[1] :

* أبحري : ما يؤخذ على القصيدة انطفاء اللهب الموسيقي وخموده ، وحصرها ضمن ايقاعة واحدة :
ربما تنبشين كنزا بدائيا خبيئا في قعر كهف مخيف

(١) ابتكر هذا التركيب الاديب الراحل مارون عبود واستخدمه في معظم دراساته الادبية .

ربما ترشقين مرساتك السوداء في مرفأ الضباب الخريفي
وترودين شاطئا استوائيا ، تصبى غيمات ثلج نديف

وبيته الاخير : ستدوخين في الموانىء يوما ، وتعودين طوع أمري فطوفي . يذكرنا معناه ببيت أو اكثر لنزار قباني مثل :

ما أنت حين أريد الا دمية
بلهاء تحت يدي وضغط ذراعي

. . .

* العلقم البري : مطلع القصيدة :

غدنا كهف رماد أزلي
معبد غاوى حروفا في شفه

يسترعي انتباهنا ، هنا ، الاداء المباشر في الشطر الاول ثم هذه الحروف التي في شفة لم أرها معبرة عن شيء يلائم كهف الرماد . وليت الشاعر اكتفى بذكر هذه الحروف في البيت الاول ، فهو استأنف الحديث عنهن :

هن والتجذيف سبحات الاله
حجري ومسوخ مقرفة

أما ماهي المسوخ وما علاقتها بغدنا فهذا ما لم ندركه ويسترسل الشاعر بالحديث عن الحروف والتجذيف ويصفها عدا بسبحات الاله والمسوخ المقرفة بأنها :

وأباطيل أستلانت وثنيا
وحواريا أسيري مجرفة

ترى من هو الوثني ؟ وكيف اجتمعت الاباطيل بالحواري ؟ وما يقصد بقوله :

أسيري مجرفة ؟

وكأني بالشاعر رأى أن دور الحروف والتجذيف انتهى فانتقل الى خطاب الجيل الجديد :

أيداجينا سدين مستريب
حسه ليلاته مستنزفة ؟

وهذا البيت غريب فيه التفكك حيث لا علاقة له بسابقيه .

ومنها :

ويغذينا شروش العلقم البري
آمين صلاة مسرفة

ولنا على هذا البيت عدة مآخذ : المباشرة بالتعبير والنسج النثري والتركيب الشاذ ،

ثم :

أبدا ينقعنا في حوض كبريت
يصفينا فيغدو زعنفة

أريد أن أذكر القراء ان الذي ينقعنا هو السدين ، فما تعني كلمة يصفينا ؟ أفهم من هذه الكلمة هنا معنى يطهرنا ، وهذا يخالف السدين الذي يغذينا شروش العلقم البري وينقعنا ثم كيف يغدو زعنفة ؟ ولماذا ؟ ويعمد الشاعر فيتحدث عن غدنا مرة أخرى :

غدنا عشر وصايا تتناهى
في هيولى الوحل تعنو مدنفه

لا أريد أن أتعرض لهذا البيت لاني لا أعرف معنى العشر وصايا هنا ولا الهيولى المدنفة .

وقوافي القصيدة مرهقة : أسيري مجرفة ، جزر مورفة ، يغدو زعنفة ، دنيا مترفة ... الخ ..

والحق أن الشاعر في قصيدته هذه تعب وأتعب كما يقول محي الدين صبحي .

. . .

* وثمة بيت في قصيدة تبرج :

أسبلت شعرها سوادا مندى
فوق نهد فهب آخر يحتج

نلاحظ أن المعنى بما لا يوجد مجال للشك مأخوذ من قصيدة نهدان لخليل خوري :

أهوى على هـــذا وأعصره
وأذيب في أحشائه كمدي
فيضـج توأمـــه ويـرمقني
ويكاد يأكله من الحســـد

• • •

* وفي قصيدة مولوخ نجد أن الشاعر تعرض لوصف اله الجنس مولوخ وهو يلف ويدور ، دون أن يعطينا أي فكرة من وراء ذلك :

« مولوخ معبود الشهوة » •
مولوخ جبل خطاة الارض ونحت أزاميل المردة
باهى عقده
يتسلق أعناق الارحام ويودعها
أنثى ذكرا لا ، أيا كان •

• • •

* الى مصطافة : ولي على هذه القصيدة مأخذان هما :

١ ـ لفظة آلاف بقوله :

جنيـة الاعمـاق قلبك من
ثلج فمـــا تغـويك آلاف

حيث تتنافى مع نعومة القصيدة ورقـة قوافيها : شفاف ـ أطياف ـ مجذاف •

٢ ـ تدني الشاعر حتى لوصف الرداء البحري وما دونه وهذه صورة تكاد تكون مقرفة مـع نعومتهـا وحلاوتها •

وشراع يخت أبيض شبق
ملاحه ان طـاش مجذاف
وجزيرة مغسـولة أبـدا
بالوهم والسكان أطيـاف

وللشاعر خليل خوري قصيدة شبيهة الى حد كبير بهذه القصيدة بعنوان : الضفاف السمر تضمنها ديوانه حبات قلب ، مطلعها :

في مجـد مجدك نحن عباد
ولنـــا غوايات وأمجـــاد

وتبدو القصيدتان وكأنهما نسج خيال شاعر واحد لتقارب اللحن الموسيقي بينهما :

خليل : الطيب بعض عطاء كرمتنا
موريس : كل الحسان يردن صحبتنا
خليل : رحلاتنا في الطيب غمغمة
موريس : قبلاتنا كالخمر أصناف
خليل : وخيالنا يا أخت صياد
موريس : ورداؤك البحري شفاف
خليل : يا أخت تهتف كل جارحة •
موريس : جنية الاعماق من قلبك من
خليل : بكر على الحدقات مياد
موريس : ملاحة ان طاش مجذاف

وبعض التراكيب والمعاني :

خليل : ولنا على الشطآن ميعاد
موريس : ولنا على الشطآن أصداف

ولا أدري فيما اذا كان المتبع ، موريس أم خليل • كل الذي أعرفه أن قصيدة الى مصطافة لموريس نشرت في بعض مجلات بيروت لعام ١٩٦١ الوقت الذي كانت فيه الصحف والمجلات الادبية ترحب بصدور حبات قلب ، لخليل خوري •

• • •

الحق أقول أن الحب واللاهوت • وان تلوح به بعض ـ الهوات ـ بلغ غاية الابداع مما انتزع اعجاب معظم أدباء وأديبات دمشق ولبنان مثل على الجندي ـ مدحة عكاشه ••• الخ • واستطاع صاحبه حقا ان يلحق بالقافلة ••••

أخيرا ؟ طوبى للذي يطبع ديوانه قبل أن يموت[1]

---

(١) يوسف الحاج ـ الثقافة عدد ١٢ ـ ١٩٦٢

ظهر حديثاً :

القيثارة الزرقاء

من تاليف آلكس اوستين

دار النشر : لافون

قصة من النوع الاول الذي يحتل مكانه بهدوء في ضمير واحاسيس القارىء ، فتخرجه من عالمه المألوف الى عالم آخر تنحرف فيه المفاهيم الخلقية وتبتعد عن الوجدان النقي •

هي قصة شاب اعمى لا يرى الاشياء الا من خلال عيني اخته ، فتنشأ عن ذلك بينهما صلة محبة بريئة تتطور مع الوقت الى عاطفة شهوانية جارفة •

هذه القصة لا تحركها العواطف بقدر ما تحركها الاحاسيس •

★ كتا طريف في علم الجمال بعنوان « علم الجمال المعمم » صدر مؤخرا في فرنسا بقلم روجيه كايوا •

عودة الروح

ظهرت مؤخرا في مكتبات موسكو الطبعة الثانية باللغة الروسية لرواية « عودة الروح » لمؤلفها الكاتب الشهير توفيق الحكيم • وقد مر ٢٧ عاما ممنذ ان ظهرت الطبعة الروسية الاولى لهذه القصة • وبديهي ان هذا الكتاب قد أصبح من الكتب النادرة • وتوفيق الحكيم معروف جيدا لدى القراء السوفيات الذين يهتمون بادب البلاد العربية • وسرعان ما اتسع الطلب من قبل جماهير واسعة من القراء السوفيات على الطبعة الثانية لرواية توفيق الحكيم « عودة الروح » •

ـ الكاتبة السوفياتية غالينا سيريبرياكوفا ، المعروفة برايتها « شباب ماركس » و « اخطاف النار » • المكرستين لماركس ، المؤسس الكبير للاشتراكية العلمية ، الفت كتابا جديدا عن ماركس ايضا • وهو سيرة علمية وادبية لعملاق الفكر • ويبين الكتاب الصداقة الرائعة والروح الكفاحية التي قامت بين ماركس وانجيلس ، وتتحدث عن رفاق ماركس في النضال • وقامت بنشر هذا الكتاب دار منشورات الشبيبة السوفياتية مولودايا هغاردية في سلسلة « حياة الرجال الافذاذ » التي قام بتأسيسها غوركي •

ـ انهت لو اسمر اخيرا مجموعة من القصص القصيرة ستنشرها متتابعة في احدى الصحف الادبية في لبنان •

ـ تقدم دار نشر المؤلفات الحكومية في موسكو باصدار سلسلة هامة من كتب التبسيط بعنوان : « النظام السياسي لبلدان العالم » • ويكتب هذه الكراريس اختصاصيون موصوفون وهي معدة للجمهور الواسع الذي يهتم بحياة الدول الاجنبية • واحدى هذه الكراريس التي صدرت مؤخرا مكرسة للنظام السياسي في تونس • ويعرف كاتب الكراس ن• ايفانوف القاريء على اقتصاد تونس والتركيب الطبقي لسكانها والاحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية ويحلل بالتفصيل دستور الجمهورية التونسية •

ـ رسائل امين الريحاني التي كتبها بالانجليزية ، ترجمت ، وسوف تنشر بالعربية في كتاب يصدر قريبا •

ـ بادر الاديب سمير شيخاني الى نشر كتاب جديد له منذ ايام بعنوان نوادر موسيقية ، جمع فيه الكثير من الطرائف والنوادر التي تتعلق بالموسيقيين الاعلام بعد ان ذكر لمحة خاصة عن كل موسيقي تتعلق به احدى تلك النوادر الموسيقية • ويقع الكتاب الجديد في حوالي ١٥٠ صفحة من الحجم المتوسط • وقد اخرج بشكل انيق • وفي الكتاب الكثير من الاقوال المأثورة لرجالات عظماء من موسيقيين وادباء وشعراء • بالاضافة الى النوادر الطريفة التي لا تقف فائدتها عند حد الترفيه عن القاريء ، وحسب بل تتجاوز ذلك الى حد

يمكن اعتبار الكتاب معه مصدرا من المصادر التي يمكن ان تعتمد للدراسات الموسيقية .

– صدرت في فرنسا ترجمة لرواية جديدة للقصصي الاميركي الكبير ارسكين كالدويل ، الذي يعرفه قراء العربية بما ترجم له من روايات مثل « طريق التبغ » و « ارض الله الصغيرة » . ورواية كالدويل الجديدة هي « جيني العارية تماما » . وهي تروي قصة مومس سابقة ، « متقاعدة » حاليا ، كما تصف هي نفسها وهي تقاوم مقاومة عنيفة سادة المدينة الفانفستر ، والعنصريين دفاعا عن بنات شاء سوء حظهن ان يكون في عروقهن « بعض الدم الهندي » .

وصراحة اللهجة التي تعتمدها جيني واستقلال الشخصية الذي تبديه ، لا يخلوان من متعة ، ويعطيان هذه الصرخة ضد العنصرية في اميركا لونا مؤثرا غير معتاد ، يستأثر بعطف القاريء .

– صدر في منشورات « بلون » بباريس كتاب هام عن الكاتب الالماني الكبير توماس مان وهو « عالم توماس مان » ، بقلم ميشال ديفي . ونظرا لاهمية الكتاب ، وقيمة توماس مان ، نقدم للقاريء عرضا موجزا لكتاب ديفي :

لقد قرأ ميشال ديفي جميع مؤلفات توماس مان واستخلص منها هذه الدراسة التي هي اشبه ما تكون بمذكرات عن قراءاته . لقد عاش ديفي فعلا مع عمل توماس مان ، وهو يبرز الموضوعات الرئيسية التي تسوده ، وهي اولا قضية الانتقاء – اللعنة في « الدكتور فاوستوس » ، ثم المرض ، والثقافة ، والفحوص ، والموسيقى ، وصاحب كتاب « عالم توماس مان » يقوم بتحليل فنه وهو من اغنى الفنون الكتابية في هذا العصر ، واكثرها معرفة .

– صدرت في موسكو في دار منشورات « الكتاب السوفياتي » مجموعة من الاقاصيص البيلوروسية الجميلة بعنوان « طيران الحمائم » من تأليف ايفان نادومنكو . والكتاب يروي باسلوب شاعري مؤثر ، بعض ذكرياته عن الحرب الاخيرة وعن طفولته وشبابه ، ويرسم صورا لشخصيات انسانية لا تنسى ..

– تاريخ اليونان ، بقلم روبرت فلاسيلير (منشورات فايار) هو كتاب ظهر مؤخرا في باريس ، تأليف ر . فلاسيلير ، صاحب الترجمة الفرنسية الجديدة للالياذة ، وكتابه الجديد هو تاريخ أدبي قيم لليونان القديمة ، والنقاد يعتبرونه مقدمة ممتازة للادب اليوناني .

– قامت احدى كبريات المجلات الفرنسية الادبية مؤخرا بنشر النص الحرفي لتسع عشرة رسالة شخصية كان قد كتبها تشارلز ديكنز لاصدقائه في انجلترا وذلك أثناء زياراته لفرنسا . ويقول مقدم هذه الرسائل أن ديكنز كان يقوم بزيارات سنوية لفرنسا .

ثم أضاف أن عملية تنقيب حبرية تجري للعثور على جميع ما يمكن أن يكون الكتاب الانجليزي الكبير قد خلفه من رسائل شخصية .

ويؤكد مقدم الرسائل التسع عشرة انها غير تلك الرسائل التي صدرت عام ١٩٢٥ في كتاب ، بل انها جديدة لم يسبق نشرها أبدا .

أما تعليقا على هذه الرسالة فيقول مقدمها : ان ديكنز لم يكن يميل في رسائله الشخصية الى التحدث عن فنه الروائي ، ولا الى التعرض لاحداث حياته الخاصة ، مما يبدو غريبا بالنسبة لرسائل ديكنز عن الانطباعات المؤلمة التي تخلقها في نفسه مشاهد الطفولة المشردة وغير ذلك من مظاهر الظلم الاجتماعي .

★ في معرض تحليل بعض الاتجاهات في القصة الاميركية الراهنة ، بمناسبة صدور قصة « الغابة الكبرى» تأليف روبرت بين وارن ، كتبت الناقدة الفرنسية

آن فيلولور في صحيفة « الاداب الفرنسية » (لي ليتر فرانسيز) مقالا تحليليا حول القصة الاميركية الحديثة انهته بالملاحظات التالية : بالاضافة الى مشكلة الزنوج في الولايات المتحدة التي يعالجها بصورة مباشرة ليليان سميث وكارسون ماك كولرز – فان الموضوعات التي كثيرا ما تعود الى أقلام كتاب الروايات الاميركيين هي موضوعات المال ، والامتيازات الطبقية ، والاضطراب الممتزج في أغلب الاحيان بالشعور بالذنب والعجز عن التكيف مع العالم كما هو ، اي ، مع بعض الفروق البسيطة موضوعات اغلب الاداب الغربية .

ولكن يبدو لي انه يوجد حاليا في الاداب الاميركي، اهتمام بالواقعية ، لا نجده في كل مكان . وتبنغي الاشارة على كل حال ، الى أن روبرت بين وارف وارسكين كالدويل هما هنا وحدهما اللذان نجد في كتاباتهما مخرجا . أما الآخرون ، فالواقعية تقتصر لديهم على ما يسجله الرأي ، وتصبح جد قريبة من الطبيعية حتى ولو لم يكن الاسلوب والكتابة ، من جهتهما ، طبيعيين .

* من أدباء الشباب الذين يكسبون سريعا شهرة عالمية ، الكتاب السوفياتي الشاب فيكتور كونينسكي . وقد صدرله مؤخرارواية «المرأة المجهولةفي ارخانجلسك» .

وقد ترجمها الى الفرنسية جان كاتالا . ويقول الناقد اندره ورمسر عن رواية كونينسكي : « انها قصة حب ، ومن أجمل قصص الحب ، وأصدقها وأكثرها تأثيرا . ومن أكثرها بساطة أيضا . انها من أجمل الروايات التي قرأتها .

* اصدر الكاتب الفرنسي الشهير جورج دوهاميل، الاديب المعروف بنزعته الانسانية ، دراسة هامة ، أطلع فيها مؤلفها الرأي العام على القضايا المتعلقة بتثقيف النفس وقد حدد دوهاميل بدقة في دراسته العلاقات المتبادلة بين الصحافة اليومية والراديو والتلفزيون والكتاب ، الذي يعطيه دوهاميل المكان الاكبر بالنسبة لتكوين الذكاء ونشر الثقافة الحقيقية ، ذلك التراث الذي لا يستغني عنه الانسان .